الباب السادس

يا جدتى

obeikandl.com

obeikandl.com

المقال الأول
هكذا يكون البناء

سؤال أطرحه، إذا أردت أن تبنى بيتا، فماذا تفعل لكى تبنيه؟ والسؤال الأهم إذا كان الهدف فى بناء البيت هو الستر والحماية، فما هو الأَوْلى بناء بيتٍ أم بناء الشخص ذاته القائم على البناء؟ أقول بسم الله الرحمن الرحيم، كى نبدأ فى بناء الشخص علينا أن نعرف ما هى الأدوات التى نبنى بها أنفسنا، إن الهدف من أى بناء هو حمايته وصيانته من العوارض الطبيعية، وإن من أصعب ما يكون فى البناء هو بناء الإنسان نفسه، والحفاظ على أعضاء المكون الرئيسى فيه من نعمة وهبها الله لنا ووديعة قد تم تستلمها وعلينا أن نعيد هذه الوديعة كاملة غير منقوصة مزدانة بأفعالها، لا تجور عليها ريح الحياة بما فيها من انجراف أو ذلل، إنها الحياة تعب كثير بها وكبد **{لقد خلقنا الإنسان فى كبد}**.(البلد: ٤)، ومعنى كَبَد، : شدَّة ومشقّة وعناء، ويا لها من مشقة، وإن المشقة كلما زادت زاد معها أجر عظيم، ومكافأة كبرى أعدها الله للصابرين، ولنا أن نتخيل كيف تكون المكافأة على قدر المشقة.

إن البناء للإنسان يبدأ من اجتماع الرجل بالمرأة، واختيار كل منهما للآخر، ليخرج لنا بناء قوى من الأبناء، وإن هذا البناء وناتج البناء من الرجل والمرأة لهو مبنى على قضية الاختيار، وكثير منا قد لا يدرك، إلا من رحم. إن العطية الكبرى للرجل هى المرأة، وبالتالى فهى تحتاج لمعاملة خاصة فى كل الأمور حتى نضمن حسن تربيتها لأبنائها وحسن معاملة الرجال لها، فبقدر ما تُكْرَم المرأة يَزِيدُ عطاؤها لزوجها وأبنائها، فينعم الرجل بنعيم الدنيا بها ونعيم الآخرة، فهى حصنه الحصين إن اهتزت اهتز كيان الرجال، فالنساء منازل الرجال، بهن تستقيم الحياة. فالمرأة: تطلق – عند تعريفها بال – بمعنى أنثى الرَّجل :– وقد أعطى الإسلامُ المرأةَ جميعَ حقوقها فـ «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**».

إن من فضل الله سبحانه وتعالى أن كرم المرأة واختصها بسورة منفصلة بالقرآن الكريم، وهى سورة النساء، وإذا ما نظرنا من قبل إلى المرأة وكيف كان يراها رجال الجاهلية، لرأينا التصوير البلاغى فى القرآن الكريم، {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}. (النحل:٥٨)، ومعنى كظيم صفة جاءت من كظم، فإذا قلنا كظَمَ على أى حزين مغتم، ثم تأتى الآية التالية لتصف الرجل إذا بشر بالأنثى وتصرفه {يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}. سورة النحل ٥٩ .أى انه كان يتوارى، أى يتخفى من الناس ويكره أن يراه لإحساسه بمهانة وذل وضعف، هكذا كان يفعل الرجل، ولا يورثها، أو انه يدسه فى التراب، أى يئدها، ومعنى كلمة وئد أى دفنها حية، وقد كان العرب فى الجاهلية إن مات الرجل وترك زوجته ورثها عنه أولياؤه، إن شاءوا تزوجوها أو زوجوها، أو حبسوها حتى تفد نفسها بالمال، وقد كرمها الإسلام وعظم دورها ولننظر إلى الآية ١٩ من سورة النساء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}. وكلمة تَعْضُلُوهُنَّ تعنى عَضَّلَ الْمَرْأَةَ أى مَنَعَهَا مِنَ الزَّوَاجَ ظُلْماً، أى عَضَلَهَا.ومن هنا علينا أن نبدأ بفهم سورة النساء لما فيها من اهتمام كبير بكل صغيرة وكبيرة، لنعلم أن هذه السورة هى هدية الرجال إن أرادوا سعادة الدنيا والآخرة، فالدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، فلنبدأ معا لنقرأ ونتدبر سورة النساء كما جاءت فى كتاب الله، إن المرأة هى مفتاح السعادة لمن أراد بناء عظيما، ولمن أراد أن يفوز بالدنيا والآخرة، ولنبدأ بسر سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة، وكيف كرم ديننا المرأة، وهذا ما سوف نتناوله فى جوانب المرأة فى القرآن الكريم فى سورة النساء، ثم سورة الطلاق وأسال الله أن يجعله فى أعمالنا.

بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. (النساء: ١).

المقال الثانى
بقايا جمر مخضب

ها هو يا جدتى، فى لحظتى، إن شئت قولى غفوتى، فما أكثر الغفوات، فى مداد مداواة السنين، كم من الحروف يا جدتى كتبنا، صرخنا، فمن يسمعنا؟! إنه فراغ الحزن فى نسيج الآهات التى تزفر خالية من حبات الأكسجين كى نتعطر، إنه الحزن العميق الضارب فى أعماق النفس، بين كيان الإنسان، فى حوائط جدران، تعلمت منك شعرا وقافية، ووجدتنى أسير على أرض أشعر أنها أرض ولا أشعر بها كيانا، هى قطار يغادر مسافات ومسافات، قد أشارك، قد أعطى، فما أجمل المشاركة وما أجمل العطاء، ويصعب على النفس ألا تشعر بيد الآخرين. إنها مسافة قصور الزمن حين يباعدنا عن الأحباء، يا جدتى إن المسافات تبعد، ودنو الخطى يقرب، والفراق يلهب، والوحدة تعذب، وقضيتى يا جدتى أنى أريد تحديد المأرب، أتوه فى زحام ساقية ربطت حول عنقى، فهل نضبت السواقى فى البشر وأصبحت مثل ساقية الناصر محمد بن قلاوون، أثرا ومزارا للسياح؟ فهل أصبح العطاء فى هذا الزمن أعجوبة كما نضب بئر يوسف فى القلعة؟ والتى بناها صلاح الدين وأصبح البئر من العجائب كما أصبحت حياتنا القديمة، نعم هو كذلك يا جدتى، إن دروب العطاء كثيرة أعلاها الحب الذى ينتهى بلا انتظار المحصلة، وإن أكثر ما يؤلم فى الحياة أن يغادرك المنتفعون، المنتظرون زيفا، على شفاههم رسمت ألوان كثيرة، حين تنقطع بينك وبينهم المنفعة، نعم يا جدتى تعجبت من القياس الأعرج بين البشر، فحيث أن الميراث هو العدل بين البشر وجدناه يفرق بينهم لأطماعهم الخبيثة فى نفوسهم المليئة بالحقد والكراهية، يا جدتى كيف نعلم الحب البشر، نعم كيف نعلم الحب البشر، نعم كيف نعلم الحب البشر

علمينى الحب جدتى علمينى منه لا أرتجف
علمينى كتابة الحرف علمينى هجاءا لا يخف
علمينى درس العمر الحب قائم فى عمر خرف
علمينى ألا أرتبك وعن المديح لسانا عزف
علمينى حكمة بالغة أن اللسان مُخدرٌ كالخزف

هل أنا فى حال السذاجة أم فى مرحلة الطفولة المراهقة، لقد انقلب سلم العمر رأسا على عقب من أعلى حقول الليل الظلماء التى لا تظهر لك ما خلف الشفاه من أنياب مفترسة، إن الزوايا يا جدتى لم استطيع ان احددها فهى فى ظلماء العيون حين يحب، وحين يأتينى صوت المجهول لا أهاب منه فأنا أعلم ما يكتب لى فهو من عند الله، ودوما صرخة الشوق تنزع من داخلى العقل رغم تميزى به حين يكون الجو صافيا، حين ينسل بداخلى كلمات الله فى طريق العتمة دائما هى تنير طريقى، إن المرء يا جدتى يلهث جريا وراء المعرفة والاكتشاف وكأن مرحلة الطفولة الاستكشافية لم تنتهى بعد، يا جدتى إننى لا أشعر بإحساس الزمن وكأننى أشاهد دورا فى دور عرض ولست مشاركا فيه رغم أننى البطل الأول، الظاهر الباطن، الخافى فى ستار الكواليس، فان الكواليس اليوم أصبحت كوابيس البطولة، لقد تيبست بداخل أحاسيس الزمن فلم أعد اقدر كم عمرى وكأن العمر داخلى هو عمر القلب عندى يرفض أى قياس آخر للزمن، فالزمن آلة والإنسان هو من يستعملها، والركض أراه فى أحداق الآخرين، وان أصعب ما أراه يا جدتى هو التغيير الذى يسلخ المرء من زمنه الذى يعيشه إلى زمن آخر يحتاج إلى فترة تأهيل.

إن الأعمار هى مواقيت انتظار نركض بها فى سلالم العمر وهى تسبقنا ونحن تابعيها، وإن من الغباء أن نسلخ الجلد عن قديمنا، فمن خرج عن ثوبه تعرى، إن تجميل الماضى بأدوات الحاضر، هو الطريق إلى تنمية قدرات الأجيال نحو حياة أفضل، وإن إنكار الذات يولد بداخلنا روح القيادة، وليست روح الإدارة وليكن شعارنا من أجل أحفادنا

إن ثوب الكبرياء يا جدتى يدعونى أن أهاجر إلى داخلى حيث أنا هكذا، فرؤية الأشياء عندى بالعين، فأنا انفصل عن العالم حين أراه وكأننى لست جزءا منه، انه العالم المشوش الذى يجرى وراء لغة الأرقام، ورغم عطائى المتوهج فى زمن العجائز إلا أننى أرى العرى فيمن هم حولى، وانتظر وهجا فى بصمات من يعاودنى تعاليمه لأرنو بصمت هذا العالم الموحش المنسلخ من الرحمة إلى القسوة، إن المرء يعش لحظة يتبارى فيها أمام نفسه، ثم ينحنى ليلتقط أحاسيسه المبعثرة، إن أصعب ما فى المرء أن يثبت ذاته للآخرين، إن إثبات الذات لا تحتاج الكلمات الزائفة فى عصر الرياء، إن المرء دوما يبحث عن تجميل صورته أمام الآخرين ربما زيفا أو رياء، إن تجميل النفس بالرياء يا جدتى تصيب المرء بالانفصال التام عن الذات والكل يا جدتى يعش بألف وجه وأنا ما تعلمت إلا خط الصدق، ما أصعب الصدق فى زمن الكذب، وأصبح لسان حالى يا جدتى (اكذب كى تصدق، واصدق كى يكذبك الناس)، فإن الأغلب كاذبون لا يصدقون، وأنت يا جدتى لم تعلمينى غير الصدق حتى وان كان الصدق يعاقبنى على عاتق الحياة، وها هى أرى المصداقية تعدم على مشانق الكذابين.

يا جدتى دوما كنت فى ضيافة كلماتك، وها أنا الآن أحاول أن أنقل على صينية ضيافتك ما تعلمته منك من كرمة الحب التى زرعتها بداخلى، حين أتعاطف مع الكثير، لم أتخيل لحظة يا جدتى أن الكذب صناعتهم، فهل يصبح لدى يقين بأن الدنيا هى للكذابين، إن الأمسيات المكسورة التى يتكلم بها الكاذبون لهى أمسيات فى لحظة غياب المتعقلين والعاقليسن، يا جدتى، إن عتمة النفوس فى البشر ووحشة الدروب فى غابة الشر هى العلامة المميزة فى قسوة العالم اليوم.

إن الوداع القسرى المنتزع من رحم الرحمة لهو أقصى من القسوة ذاتها، فما أجمل الكلمات الطيبة الصادقة بين البشر، إن العنوة لا تنزع حبا مرغوبا، ولا قلبا مملوكا، فكل أعضاء البشر ملك لهم فلا تنزعوا شيئا لا تملكونه بلا رحمة، فإن انتزاع القلوب لهو سهام الغدر فى تلويحه الوداع.

يـا جدتـى كمـا علمتنـى، كمـا تطلـين علـىَّ مـن نافـذة علمـك، أنـت فـى داخلـى كل الوطـن، أنـت داخلـى صفحـة التاريـخ، ونافذتـه الصادقـة، يـا جدتـى هنـاك شـيطان أعظـم، لا يعرفـه الغافلـون، لا يعرفـه التائهـون، لا يعرفـه أصحـاب القلـوب اللاهيـة **{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}. سورة محمد (١٨)** نعـم يـا جدتـى **{اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَة مُعْرِضُونَ}.الأنبياء-١**، نعـم يـا جدتـى هـا أنـا أرى مـا أراه فليقـرا أحفـادى وليتعلمـوا مـن أبنائـى **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيم}.٦-٧ سورة لقمان.**

obeikandl.com

المقال الثالث
كرم المفارقة والاستبدال

يا جدتى كم سبقت كلماتك كرم المفارقة! إن كرم العطاء فى المفارقة أمر من شيم الكرام، وإن العطاء المأخوذ بغير وجه حق فى دوائر الاحتيال يمثل بهتانا كبيرا، والعشرة بين الأزواج ميثاق غليظ، فإن كرم الفراق من حسن الخلق، فإن المقايضة غير العادلة بهدف إيثار نفس عن نفس تمثل قمة أنانية النفس، وإن تدبير الحيل للاستيلاء على ما أعطى لهو التفاف الماكرين، إن العطاء المسروق مقابل زيف قول أو تدبير إفك هو فسق العابثين، وإن الجزاء العادل ليس ببعيد عنا.

يا جدتى فى سورة النساء الآية ٢٠ **{وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا۟أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}. (٢٠).**

فبعد أن بين الله سبحانه أنه يجوز للرجل أن يأخذ من المرأة بعض ما أعطاها من صداق إذا أتت بفاحشة مبينة، فقد بين الله الحكم فيما إذا كان الفراق من جانب الزوج دون أن تكون المرأة قد أتت بفاحشة فقال- تعالى- **{وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً}**. والاستبدال: طلب البدل، بأن يطلق الرجل امرأة ويتزوج بأخرى.والقنطار: أصله من قنطرت الشيء إذا رفعته. ومنه القنطرة، لأنها بناء مرتفع مشيد. والمراد به هنا المال الكثير الذى هو أقصى ما يتصور من مهر يدفعه الرجل للمرأة.والمعنى: وإن أردتم أيها الأزواج اسْتِبْدالَ زَوْجٍ أى تزوج امرأة ترغبون فيها **{مكان زوج}**.أى مكان امرأة لا ترغبون فيها، بلَ ترغبون فى طلاقها **{وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً}**. أى أعطى أحدكم إحدى الزوجات التى تريدون طلاقها مالا كثيرا على سبيل الصداق لها فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أى فلا نأخذوا من المال الكثير الذى أعطيتموه لهن شيئا أيا كان هذا الشيء، لأن فراقهن كان بسبب

من جانبكم لا من جانبهن .وعبر- سبحانه- ب إِنْ التى تفيد الشك فى وقوع الفعل للتنبيه على أن الإرادة قد تكون غير سليمة، وغير مبنية على أسباب قوية، فعلى الزوج أن يتريث ويتثبت ويحسن التدبر فى عواقب الأمور.والمراد بالزوج فى قوله {اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ}. الجنس الذى يصدق على جميع الأزواج.والمراد من الإيتاء فى قوله وَآتَيْتُمْ الالتزام والضمان. أى: التزمتم وضمنتم أن تؤتوا إحداهن هذا المال الكثير.والجملة حالية بتقدير قد. أى: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج والحال أنكم قد آتيتم التى تريدون أن تطلقوها قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا.والاستفهام فى قوله {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً}. للإنكار والتوبيخ، والبهتان: هو الكذب الذى يدهش ويحير لفظاعته. ويطلق على كل أمر كاذب يتحير العقل فى إدراك سببه أو لا يعرف مبررا لوقوعه، كمن يعتدى على الناس ويتقول عليهم الأقاويل، مع أنه ليست هناك عداوة سابقة بينه وبينهم. والبهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برىء منه ولأنه يبهت عند ذلك. أى يتحير.والإثم: هو الذنب العظيم الذى يبعد صاحبه عن رضا اللّه- تعالى- والمبين هو الشيء الواضح الذى يعلن عن نفسه بدون لبس أو خفاء.وقوله بُهْتاناً وَإِثْماً مصدران منصوبان على الحالية بتأويل الوصف، أى: أتأخذون ما تريدون أخذه منهن باهتين، أى فاعلين فعلا تتحير العقول فى سببه، وآثمين بفعله إثما واضحا لا لبس فيه ولا خفاء؟! ويصح أن يكون المصدران مفعولين لأجله، ويكون ذلك أشد فى التوبيخ والإنكار، إذ يكون المعنى عليه: أتأخذونه لأجل البهتان والإثم المبين الذى يؤدى إلى غضب اللّه عليكم؟! إن إيمانكم يمنعكم من ارتكاب هذا الفعل الشنيع فى قبحه.قالوا: كان الرجل فى الجاهلية إذا أراد التزويج بامرأة أخرى، بهت التى تحته- أى رماها بالفاحشة التى هى بريئة منها- حتى يلجئها إلى أن تطلب طلاقها منه فى نظير أن تترك له ما لها عليه من صداق أو غيره، فنهوا عن ذلك.

المقال الرابع
تمييز الضوء

أتذكر كيف كانت جدتى تفند السبب وتفرق بينه وبين المسبب، وهذا ما نطلق علية التمييز، فقد أوضحت لى أن من التمييزات المهمة هى الفرق بين توبة الاختيار وتوبة الاضطرار، ولنعرف الفرق بينهما علينا أن يكن معلوما لدينا أن توبة الاختيار تكون قبل رفع الجناية إلى ولى الأمر أو القضاء الشرعى، وتوبة الاضطرار هى التى تكون بعد رفع الجناية إلى ولى الأمر أو القضاء الشرعى، والأصل فى التمييز قول الله تعالى **{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. (المائدة:٣٤)**. ففرق الله سبحانه بين التوبة قبل القدرة، والتوبة بعد القدرة.

ومن هنا نرى فى الآية:

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}. (النساء:١٨)

تحمل المعنى التالى:

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}. (أى: المعاصى فيما دون الكفر. **{حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}**. وذلك أن التوبة فى هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله **{مِنْ قَرِيبٍ}**. أى: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفاتٍ راسخةً فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا

ييسر لأسبابها، كالذى يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التى يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: **{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}**. **(النساء: ١٧)**. فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازى كلا منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقَه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدمَ توفيقه. والله أعلم.

إن توبة الاضطرار هى توبة إكراه كتوبة فرعون لا يسقط فيها حد الجريمة، و إلا تعطلت بها الحدود.

المقال الخامس
أضواء الحياة

ها أنا فى ليلة رمضانية أتذكر فيها كل الخشوع أعاود ذكريات جدتى رحمها الله حين علمتنى، فأسترجع معها الكثير وكأن روح الخالدين فى الذاكرة تحفر فى مخيلتى عدم ذوبان للنسيان وإن كان كأس النسيان مر، فالذاكرة ترفض ذوبان الوفاء فى كأس الأيام. إن أجمل ما فى وجودنا هو أن نحمل بين طياته ذكريات الحب والألم، ذكريات الدمع والشجن, تصارعنى أبيات الشعر كما كانت تعلمنى جدتى وإذ بى أتمتم الأبيات التالية:

يا شاكى الحظ فى الدنيا كم اعيتنا الحيل

وميزان الصبر كم كان دواء من العلل

إن الفراق عذبه شوق وغيابه راية الأمل

فنادى رَبَّكَ سبحانه يغير الحال من جلل

نعم يا جدتى دعينى أستعد معك خيال الحوار فى همس وجل، اليوم سأستكمل يا جدتى معك قراءة لأية رقم ١٥ من سورة النساء، وأعيش فى همس طيفك أحدثك وتحدثيننى، قرأت الآية **{وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا}**. فما معنى الفاحشة، وما معنى استشهدوا، وما معنى أمسكوهن.

هنا أعدت فى ذاكرتى جدتى حين كانت تشرح لى معانى الألفاظ الواردة فى الآية، ثم توضح الأسباب وراء الآية وشرحها، إن فاحشة هى اسم والجمع منها فاحشات و فواحِش ومؤنث الفاحش الفاحشة، وهى تعنى إتيان القبيح

مـن قـول أو فعـل، أمـا فاستشـهدوا علينـا أن نعـرف أن اِسْتَشْـهَدَ مـن فعـل ش هـ د فعـل : سداسـى لازم متعـد بحـرف ومنهـا اِسْتَشْـهَدْتُ، أَسْتَشْـهِدُ، اِسْتَشْـهِدْ، مصدر اِسْتِشْـهَادٌ. وفـى سـورة البقـرة آيـة ٢٨٢ **{وَاسْتَشْـهِدُوا شَـهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ}.**، **وهناك أيضا اِسْتَشْهَدَ بِأَقْوَالِ الكَاتِبِ أى اِسْتَعَانَ بِهَا. وكذلك طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَشْهِدَ فِى الْمَحْكَمَةِ أى طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُدْلِى بِشَهَادَتِهِ. وهناك أيضا اِسْتَشْهَدَهُ لِيَقولَ الحقيقَةَ أى طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَشْهِدَ. بخلاف معنى اِسْتَشْهَدَ الْمُجَاهِدُ أى تَعَرَّضَ أَنْ يُقْتَلَ فى سبيلِ اللَّهِ.**

وترجـع الآيـة إلى تعديـل بعـض الأحـكام فقـد كان الحكـم فـى ابتـداء الإسـلام أن المـرأة إذا زنـت فثبـت زناهـا بالبينـة العادلـة، حبسـت فـى بيـت فـلا تمكـن مـن الخـروج منـه إلى أن تمـوت ؛ ولهـذا قـال واللاتـى يأتـين الفاحشـة (يعنـى : الزنـا).

ووصفهـا بالفاحشـة لشـناعتها وقبحها**{فَاسْتَشْـهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ}**.أى: مـن رجالكـم المؤمنـين العـدول. **{ فَإِنْ شَـهِدُوا فَأَمْسِـكُوهُنَّ فِى الْبُيُوت}**. أى: احبسـوهن عـن الخـروج الموجـب للريبـة. وأيضـا فـإن الحبـس مـن جملـة العقوبات**{حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ}**.أى: هـذا منتهـى الحبـس، **{أويَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا}** أى: طريقـا غـير الحبـس فـى البيـوت، وهـذه الآيـة ليسـت منسـوخة، وإنمـا هـى ملغـاة إلى ذلـك الوقـت، فـكان الأمـر فـى أول الإسـلام كذلـك حتـى جعـل الله لهـن سـبيلا، وهـو رجـم المحصـن وجلـد غـير المحصـن.

يـا جدتـى، إن الفاحشـة تكسـر جـدران المجتمعـات، فـإن اختـلاط الأعـراق والأنسـاب والإتيـان بالخطيئـة والفاحشـة، هـى مـن غوايـة النفـس والهـوى، فهـى تخلـط الطيـب بالفاسـد، وإن العقوبـة الظاهـرة قـد لا تكفـى لمـا هـو مبطـن بين البشـر، فـإن دواعـى ومقدمـات الأسـباب لهـى الخـط الأول الواقـى مـن زلـزال الفاحشـة، وإن فُعلـت وأتـت بسـفاح فهـى تدمـر خريطـة المـيراث والحقـوق، وإن النـدم عـن الفعـل سـبيل توبـة وإن مـن الصـواب إتيـان الأمـور نصابهـا وتصحيـح الفاحشـة بالتوبـة والاقـتران، فمـا أصعب لقـاء الله، **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}. الأنبياء (٣٥).**

المقال السادس
فاصل من نغمات صوتية

معذرة يا جدتى، سأترك لنفسى لحظة أخلو فيها، لأعود من زمنى الحالى إلى زمنى الجميل، سأعود إلى الخلف، أقدم الخطى ذراعا ونهجا على الإنسان مكتوبا، خلقنا يا جدتى، وكتابنا مسجل برغبة ما فيه نقض ولا إبرام، إنه كتاب الحياة، كيف ابتدأت، كيف يعاودنى الحنين إلى الرجوع إلى أربعة عقود، يعاودنى الحنين، وسألت نفسى هل يمكن أن أعيد ما مر وكأننى أقرأ الأرقام معكوسة من النهاية إلى البداية؟ فقلت لنفسى: إن العد وإن اختلف فهو عد منتهى إلى طرفين، فكل طرف معه الطرف الأخر، فكل مخلوق بداخلنا، يحركنا من الحياة إلى الموت، وأن هذا الحنين الذى بداخلنا هل هو حنين افتقاد أم حنين رغبه افتقدناها؟ يا للحياة وما فيها من قلوب تتمزق، وقلوب تتبعثر، وقلوب شاردة، وقلوب غاربة، إن القلوب مهما تعددت أصنافها فلا يجمعها إلا كلمة الاطمئنان، إنها كلمة الله التى تملأ القلوب وكيف لا؟! إن الحنين يا جدتى، هو الحنين بداخلنا، تكريما لنا، نعم إن حنين التكريم بداخلنا هو الحنين إلى النفخة الربانية التى بداخلنا من الله، ألا يدعو هذا يا جدتى أن نكرم من أكرمنا بضيافتنا على الأرض وفضلنا على كثير من الخلق، أما يدعونا هذا إلى الحب الأعظم، يا جدتى إن الحب الأعظم لمن يكرمنا، وأكرمنا ونفخ من روحه فى أجسادنا، ألا يستحق هذا الحنين؟ أن نغمس أنفسنا فى طاعته، إنه حنين الطاعة يا جدتى، لم نتعلم حنين الطاعة، وتخاصمنا، وتقاسمنا، على ما لا نملك، فنحن خلق الله، مؤتمنون على ما بذمتنا، إنه الحنين داخلنا يا جدتى، الذى أزاغته العين من الأضواء الحديثة، التى صارت مبهرة، لا تعبر عن بواطن الحقيقة، اشتقت يا جدتى إلى طبليتى الخشبية، وألى مصباح الكيروسين، وموقد الكيروسين ليدفئنا فى برد الشتاء، اشتقت إلى المكان

الذى كنت أذاكر فيه بكتابى، حين كنت أذاكر لغتى العربية وقرآنى وأحفظ قصائدى وأصادق زملائى، لا فواصل عندى فى ديانة، ولا لون، كم كانت رائعة مدينتى فى عمرى السابق حين كانت الخضرة تمتزج برئتى، وأسارع الندى، فأمس به وجهى، استنشق هواء نقيا، ولكنا يا جدتى بدلنا الخبيث بالطيب أحللنا الأسمنت بلون الأخضر، و أثقلنا كاحل الحياة وانغمسنا فى الحياة نجرى فى لهاث سرعتها، تنافسنا على مادة، كم معك، وكم معك هذه تحولت إلى لغة تقييم، فضاعت أخلاقيات المرء فى كم الجمع، وكم من المال الذى نجمعه؟ اشتاق إلى استنشاق ليلى البارد، الآمن، اشتاق إلى حضن الأهل وجمعهم، لا إلى آلة أعبث فيها و أغادر عالم أهلى إلى عالم يبث بداخلنا سما لا نعلمه، إن انتقال الجسد والعقل فى عالم وهمى، يحولنا إلى عبيد نفس وغواية طريق، يا جدتى، أجيبينى، لقد تعلمت منك الكثير، وها أنا أخذتنى الحياة، وأكتب ما تعلمته منك، لأولادى، وأحفادى، وعل رسالتى تصل إليهم، ولا يأخذون حروف الكلمات فى فاصل النغمات الصوتية، يا جدتى لقد ملأت الأذن بنغمات الصول، ونسينا أن نملأها بذكر الله، حنين إلى الحب المدفون فى قلوبنا، إن الحب الحقيقى هو الحب إلى من نفخ فينا من روحه، فهل يمكن أن ننتقل إلى ركن الحنين الذى كرمنا على الأرض عن باقى العالمين، يا جدتى كما تعلمت منك فى ختامى، أذكر نفسى وأذكر أحفادى، بقول الله تعالى **{الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور}. – تبارك ٢)**، نعم يا جدتى إن الحياة والموت بداخلنا، فالحياة تتناقص بداخلنا، والموت يتقدم، فى كل خلايانا، حتى يعم كل الخلايا، كما تعلمت منك يا جدتى أن أقص ما تعلمت، وها أنا يا جدتى أستأذنك بفاصل من تعليماتك فى مقالاتى لأعبر لأبنائى و لأحفادى فى هذا اليوم. إن الحنين إلى ما بداخلنا هو حنين الابتلاء صبرا على الحياة الزاحفة خلفا، ليظهر أمامنا المكنون فى علم الله من سلوك الأناسى على الأرض، إن العمر قد مر فى عقود أمضيناها وكيف أمضيناها يا جدتى، إن خلايا الحنين حين تتقدم بخطواتها للنهاية فهى تبحث عن استحقاق الجزاء، فيا أبنائى ويا أحفادى إن الاستحقاق قادم فلا تضيعوا لحظة من حياتكم فيما لا ينفع أخراكم، فهى الدار الباقية، وأكرموا أنفسكم من كرم

النفخة الربانية بداخلكم المنتقلة فى ذريتكم، وأعلموا أن النهاية تزحف داخلنا، فانتبهوا من ظلام الغرف وهمس الشيطان وقرينكم، فإن المحاكمة قادمة، وإن جزاء العمل قادم **{ليبلوكم أيكم أحسن عملا}**. ، إن استقرار الضمير اليقظ الذى لا يلتفت إلى ضوضاء الحياة وزينتها، والذى لا ينظر إلى ظاهر الضوء الذى يعمى العيون ويميت القلوب، لهو الفائز، واعلموا يا أبنائى ويا أحفادى أن الاطمئنان للغد هو اطمئنان مضمون، فسبحان من خلق، وضمن لنا أرزاقنا التى نتقاتل معا فيها، فاعلموا أن الغيب مؤمن من الله **{وهو العزيز الغفور}**. ، إن سكب الطمأنينة من ذكر الله فى القلب الذى يرعى الله ويخشاه ويحذر الآخرة يجعل القلب قلب مطمئنًا يسعد إلى حنين اللقاء الذى يتغافل عنه الكثيرون .

obeikandl.com

المقال السابع
الرحمة من باب التوبة

الرحمة من باب التوبة، والتوبة من باب الرحمة، يا جدتى إن أروقة سورة النساء بها الكثير من بناء الأخلاق وبذرة الأمانة التى حملها الإنسان، إنها أمانة الودائع، فنحن ودائع الله فى الأرض، وسوف تعود الأمانات إلى خالقها ونسأل عمن بدد فيها ومن عبث بها، (نعم يا جدتى كما قال ربى سبحانه وتعالى: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. (سورة المؤمنون ١١٥-١١٦).**

إن التوبة من باب الصلاح، وإن الإصلاح من قوام الأمة والله يقبل التوبة عن عباده، والرحمة من الله وسعت كل شيء **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}. (٥٣- الزمر)** .

إن الخطيئة يا جدتى فى جنس البشر فلم نخلق ملائكة، وإن الهدى من الله يهدى الله من يشاء **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}. (٥٦ – القصص).**

نعود يا جدتى للآية ١٦ من سورة النساء **{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦)}**. وهذه الآية تتحدث على من يأتى الفاحشة من الرجال والنساء كما فى لفظة «منكم» فى الآية وإن ردة فعل الإتيان تأتى فى طريقة ونوع العقاب فى «فَآذُوهُمَا» والمعنى هنا فى **{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا}**. أى عاقبوهما بالشتم والضرب، بالقول والتوبيخ والتعيير والضرب الرادع عن هذه الفاحشة، فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذين. فالحبس غايته إلى الموت، والأذية

نهايتها إلى التوبة والإصلاح، ولهذا قال: {فَإِنْ تَابَا} أى: رجعا عن الذنب الذى فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودا{ وَأَصْلَحَا}. العمل الدال على صدق التوبة {فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَ}.أى: عن أذاهما {إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا}. أى: كثير التوبة عن المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذى –من إحسانه– وفقهم للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عمَّا صدر منهم. ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بينة الزنا، لا بد أن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم؛ لأن الله تعالى شدد فى أمر هذه الفاحشة، سترًا لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة. ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتومئ إليه هذه الآية لما قال: { فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُم}. (لم يكتف بذلك حتى قال: {فَإِنْ شَهِدُوا}. أى: لا بد من شهادة صريحة عن أمر يشاهد عيانًا، من غير تعريض ولا كناية. ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيرًا لجنس المعصية الذى يحصل به الزجر. والتعزير جاءت من عزر يعزر تعزيرا، ولغة ؛ عزر فلانا أى لامه وأدبه، وعزر فلانا أى نصره. واصطلاحا ؛ التعزير هو العقوبة التى يفرضها الحاكم على المذنب بما يراه مناسبا مما دون الحد الشرعى، فهو عقوبة.

إن باب الرحمة مصون توبة يحده الغفران، وإن قبول التوبة ندم ذنب أُقْتُرِف وإقلاع عنه، وإن باب الخطيئة لا ينغلق، فهو غواية الهوى، وإن عظيم الرحمة والإحسان من قبول التوب المفتوح، فمن منا لم يخطئ؟! فبين الغواية والتوبة بابان، باب الخطيئة المائل، وباب التوبة القائم، وبين الخطيئة والتوبة ما زال باب الرحمة على مصراعيه.

المقال الثامن
رؤية فى أبعاد البناء

يقول الله تعالى فى الآية رقم ٢ من سورة النساء **{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا}**.

وهذه وصية أوصى بها من حقوق الخلق فيما بينهم، ألا وهم اليتامى، الذين فقدوا آباءهم الكافلين لهم، فهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم، فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يحسنوا إليهم وألا يقربوا أموالهم إلا بالتى هى أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا كاملة، وألا يأكلوا مال اليتيم بغير حق **{وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ}**، ولا تأكلوا مال اليتيم مع أموالكم أى تضعوها على أموالكم وكأنها جزء من أموالكم، **{وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ}**. لأن الله يرزقنا حلالا، وهذا تنبيه من الله ألا نضم أموال اليتيم إلى أموالنا، ومن تجرأ بالتعدى على مال اليتيم فقد أتى إثما عظيما **{إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا}**، لأن أخذ مال اليتيم مثله كاستبدال الخبيث بالطيب، لأنه من الأهمية بمكان هو إتيان اليتيم ماله ففيه إصلاح أمر اليتيم لأن تمام الصلاح هو من حفظ المال، إنها أمانة بين يدى القائم على رعاية اليتيم، وأن من يتعدى على اليتيم فى ماله فقد تعدى حدود الله، وعلى الوصى ألا يعرض مال اليتيم للمخاوف والأخطار. إن الله سبحانه وتعالى أكد النهى عن أكل مال اليتيم ظلماً، فقال جل من قائل : **{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن} (الإسراء: ٣٤)**. وقال: **{ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً}. (النساء: ٢)** ثم ذكر آية مفردة فى وعيد من يأكل أموال اليتامى، وحدد فيها نوع الجزاء والعقاب، فقال : **{إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} (النساء: ١٠)**، أى إذا أكلوا مال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون فى بطونهم ناراً تتأجج فى بطونهم يوم القيامة، وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل : يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات «. قال السدى، يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه وأنفه وعينيه، فيعرفه كل من رآه يأكل مال اليتيم. وروى ابن مردويه من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً، قيل : يا رسول الله من هم؟ قال : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً «، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أحرِّج مال الضعيفين المرأة واليتيم «. أى أوصيكم باجتنابهما رواه ابن مردويه. وقد ذكر سبحانه وتعالى الأكل، إلا أن المراد منه كل أنواع الإتلافات، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل، أو بطريق آخر، فأكل مال اليتيم ظلماً إذاً كبيرة بالإجماع.

إن الظلم بعينه هو التعدى على حقوق الغير، وإن التعدى على الضعيفين وهما اليتيم والمرأة لهو أمرعظيم. ولنتفق الله الذى إليه ترجعون، إن الإيمان فى ثبات العقيدة بأننا متحركون جميعا إلى يوم لقائه، وسوف نعرض جميعا أمام الله، فهنيئا له من سدد ما عليه، **{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)}**.

فمن منا استعد لذلك اليوم ولم تغره زينة الدنيا؟! **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)}**.

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أَظلِم أو أُظلَم. يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك. آمين.

المقال التاسع
من إعجاز المواريث

استعراض بحثى مبسط عن آيات الميراث فى القرآن الكريم :

فى هذا المبحث سأتناول الآيات التى نصت على الميراث، فقد بحثت فى كثير من المراجع عن آيات المواريث والإعجاز التشريعى فوجدت أن أغلب المراجع تحدثت عن عشر آيات ألا وهى من الآية ٧ إلى الآية ١٤ من سورة النساء وهى ثمانية، إضافة إلى الآية ٣٣ والآية ١٧٦ وهى الأخيرة فى سورة النساء.

والآية رقم ٧ من سورة النساء يقول الله تعالى : **{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}**.وهى تعنى ان للذكور من أولاد الرجل حصة وللإناث منهم حصة من قليل أو كثير، وهذه الآية قد نزلت لتعدل كما كان بالجاهلية من تغافل حق الإناث أو الصغار، فعدلت هوى الجاهلية وأخطاء آرائهم.

أما الآية رقم ٨ **{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}**. هذه الآية تعنى إذا كان هناك ثمة أقرباء ممن لا نصيب لهم أو يتامى أو مساكين أثناء تقسيم التركة فينبغى أن يعطوهم شيئا، وهو طيب الخاطر ونقول لهم قولا طيبا تنشرح لها صدورهم وتطيب نفوسهم .

أما الآية رقم ٩ **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا}**.وهى آية التقوى فى جمع المال وتوزيعه بين الأبناء، وأن تكون وصيتهم لا إجحاف فيها ولا إهمال طرف دون طرف لأن طريق العدالة بين الأبناء هو استقرار للنفوس.

أما الآية رقم ١٠ {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.هي آية تحذيرية موجهة إلى الأوصياء على ميراث اليتامى من ظلم تبديد أموالهم وما سيئول لهم من عذاب الحريق.

أما الآية ١١ {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أو دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

هذه آية في تحقيق عدالة التوزيع، وذلك بأن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين اذا كان الأولاد ذكورا أو إناثا، ويفهم من مضمون الآية أن نصيب الاثنتين كنصيب الأكثر من اثنتيْن، وان ترك بنتا واحدة فلها نصف ما ترك، وإن ترك أبا وأما فلكل واحد مهما السدس، إن كان له ولدٍ معهما ولد ذكر أو أنثى فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فأمه الثلث والباقي للأب، فإن كان له أخوة فلأمه السدس، والباقي للأب، ولا شيء للأخوة، تعطى هذه الأنصبة بعد أداء ما يكون عليه من دين، وتنفيذ ما يوصى ما وصى به في حدود ما أجازه الشارع، إنه حكم الله وانتم لا تدرون أيهم الأقرب نفعا من الآباء والأبناء، والخير فيما أمر الله به، فهو العليم بمصالحكم والحكيم فيما فرض عليكم.

وأما الآية ١٢ {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أو دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أو دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}.فهي تعني أن للزوج نصف ما ترك للزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره، فإن كان لها فلزوجها الربع من بعد وصية توصى بها أو دين وللزوجة واحدة أو متعددة الربع مما ترك إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصى بها أو دين، وولد الابن كالولد فيما تقدم، وإن كان الميت

رجلا أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخا لأم أو أختا لأم فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث يستوى فى ذلك ذكرهم وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التى عليه، وتنفيذ الوصية التى لا تضر الورثة، وهى التى لا تتجاوز ثلث التركة بعد الدين، وهذه وصية التزام أوصانا بها الله، فإنه عليم بمن جار أو عدل منكم، حليم لا يعجل الجائر بعقوبته، ولكن إذا أخذه لم يفلته.

أما الآية ١٣ **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**.هى آية تنبه على أن أحكام المواريث هى من حدود الله لنعمل بها ولا نتعداها، وأن طاعة الله ورسوله لهى من مفاتيح الجنة وهى فوز عظيم

أما الآية ١٤ **{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}**. فهى آية جزاء المخالف ومن يتعدى حدود الله يدخله نارا مخلدا يعذب، إضافة لعذاب الضمير.

أما الآية ٣٣ **{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}**.فهى أية توضح أن الله قد جعل لكل مال ورثة عن والديهم أو أقاربهم، كما يجب إعطاء حق من عقدنا معه عقد الموالاة .

أما الآية ١٧٦ **{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**.

فهى توضح ميراث من مات ولا ولد له ولا والد، فإن حكم الله فى ميراث هؤلاء أنه إذا كان للمتوفى أخت فلها نصف تركته، وإن كان للمتوفى ولد فله تركتها، وإن كان للوارث أختان فلهما ثلثا التركة، وإن كان إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا بيان من الله فى تقسيم الأنصبة حتى لا تضلوا والله عليم بكل شيء من الأعمال والأفعال ومجازى بها.

من الاستعراض البحثى السابق نرى: أن الميراث فى نقل الملكية من الطرف المالك إلى الطرف الآخر والمنطبق عليه شروط نقل الملكية يتم النقل دون موافقة الطرف المالك مع إباحة حرية تصرف المالك فى ثلث الملكية، وأن الضمير هو المتحكم فى التحايل على تغيير الملكية، والتهرب من ذلك يعنى هروب الإيمان من القلوب، إن درجة القرابة فى توزيع الملكية تلعب الدور الأساسى للأقرب فالأقرب دون تمييز وأعطى الأولاد كامتداد للأب أكثر حظا من غيرهم، وأن قواعد الميراث تعمل على تفتيت الثروة ثم إعادة جمعها وإعادة توزيعها، وقد كرمت المرأة فى الميراث بأن يكون لها نصيب منه بعد ما كانت تحرم منه، وكذلك تكريم امتداد المرأة كأولاد الأم والجدة للأم، وقد خاطب القرآن العقل فى ثلاث آيات من سورة النساء وهى ١١-١٢-١٧٦ وقدم تهيئة للنفوس فى آيات من رقم ٧ إلى رقم ١٠ وعقب على المواريث فى آية ١٣، ١٤ للحض على العمل به والتحذير من المخالفة، إن أحكام المواريث من الثوابت التى لا تقبل التغيير.

إن الأسباب قد تكون جلية فى نص أو ظاهرة أو موقف، إلا أن الظواهر قد تصبح محيرة ومبهمة أحيانا إلا إذا تتبعنا ما وراء السبب، وأن السببية فى التفسير تتطلب إتباع ما خلف السبب وأن الدوافع داخل الأهواء بالنفس البشرية يتحكم فيها الضمير الإنسانى، فالتحايل والالتفاف فى البشر من ظواهر مخالفة الفطرة، وما من التفاف حول قاعدة تشريعية إلا وكان الخسران نهايتها، وأن مقدرات البشر محاطة بقانون السماء لحمايتها من الأهواء والزلل مهما عبثت بها زمرة الاستعباد، وإن مخاطبة العقل والوجدان وتهيئة النفوس مفتاح القبول لعلة الأسباب، فينتفى معه أى خلط أو تداخل، وإن الحكمة تمنع المخالفة وتبعد عنا الغواية، ومن ثم طريق العقوبة ما لم يكن هناك خلل فى التطبيق بالتفاف بشرى مزين بحيل الشياطين فيميل معه كفتا عدل الميزان.

المقال العاشر
هكذا يكون البناء ١

«**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ**». (النساء : ٣)

نرى فى الآية انه فى حالة رغبة الولى أو من يقوم على إدارة أموال اليتامى ويرغب أن ينكح منهن فعليه أن يقسط أى يعدل فى مهرهن، وله أن يتزوج مثنى أو ثلاث أو رباع، وإن خاف ألا يعدل بينهن فليتزوج واحدة أو ما ملكت أيمانهم وذلك خوفا من عيلة أى فقر وكثرة الأولاد.

والشرح التوضيحى للآية كالتالى من المعلوم أن اليتيم له ولى أو من يقوم على رعاية أمواله حتى يبلغ السن الذى يسمح له بإدارة أمواله، فنجد فى الآية **{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى الْيَتَامَى} وكلمة {تُقْسِطُواْ}** أى تقسيم الشيء بالعدل، وفى الآية توجيه لمن، لديه يتيمة، أى تحت حجر(كلمة الحِجْر تعنى القرابة، فإذا قلنا فى حجر فلان أى فى كنفه يتيمة وخاف ألا يعطيها مهر مثلها، فليعدل إلى ما سواها، فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه.

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، أخبرنى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها، عذق (العَذْقُ : النخلةُ بحملها. وفى الحديث : « لا والذى أَخْرَجَ العَذْقَ من الجَرِيمَة»، أى النخلةَ من النَّواةِ. والجمع : عِذاقٌ، وأَعْذُقٌ.

وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه **{وإن خفتم ألا تقسطوا}** فى اليتامى أحسبه قال : كانت شريكته فى ذلك العذق وفى ماله.

ثم قال البخارى : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى **{وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى}** قالت : يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركه فى ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية، فأنزل الله تعالى **{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا}** (-النساء ١٢٧) قالت عائشة : وقول الله فى الآية الأخرى : **{وترغبون أن تنكحوهن}** رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال. فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى ماله وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

وقوله : **{مثنى وثلاث ورباع}**. أى : انكحوا ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم اثنتين، وإن شاء ثلاثا وإن شاء أربعا، كما قال تعالى : **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**. - فاطر- ١ - أى : منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولا ينفى ما عدا ذلك فى الملائكة لدلالة الدليل عليه، بخلاف قصر الرجال على أربع، فمن هذه الآية كما قاله ابن عباس وجمهور العلماء؛ لأن المقام مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره.

قال الشافعى : وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة..

وقوله : **{فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم}**. أى : فإن خشيتم من تعداد النساء ألا تعدلوا بينهن، كما قال تعالى : **{ولن تستطيعوا أن تعدلوا**

بين النساء ولو حرصتم} النساء : ١٢٩] فمن خاف من ذلك فيقتصر على واحدة، أو على الجوارى السرارى (السُّرِّيَّةُ : الجاريةُ المملوكَةُ والسرية جمع سَرَارِى)، فإنه لا يجب قسم بينهن؛ ولكن يستحب، فمن فعل فحسن، ومن لا فلا حرج.وقوله : **{ذلك أدنى ألا تعولوا} {قال بعضهم}** أى أدنى ألا تكثر عائلتكم. قاله زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعى، رحمهم الله، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : **{وإن خفتم عيلة}** أى فقرا **{فسوف يغنيكم الله من فضله}** – التوبة : ٢٨] وقال الشاعر:

فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل] وتقول العرب : عال الرجل يعيل عيلة، إذا افتقر ولكن فى هذا التفسير هاهنا نظر؛ فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر، كذلك يخشى من تعداد السرارى أيضا. والصحيح قول الجمهور : **{ذلك أدنى ألا تعولوا}** أى : لا تجوروا. يقال : عال فى الحكم : إذا قسط وظلم وجار، وقال هشيم : عن أبى إسحاق قال : كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة فى شيء عاتبوه فيه : إنى لست بميزان لا أعول. رواه ابن جرير.

إن العدل هو ميزان الاستقامة به، تستقيم أمور الدنيا، وإن جار ميزان العدل فلا استقامة فى اعوجاج.

المقال الحادى عشر
هكذا يكون البناء (١)

فى الآية الرابعة من سورة النساء {**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**}، نرى أن هناك من الناس من يظلمون النساء ويهضمون حقوقهم وخاصة فى مهورهم (صَدُقَاتِهِنَّ)، وقد حثتهم الآية إلى إيتاء النساء ما لها من صداق أى مهر، ثم اتبع كلمة صَدُقَاتِهِنَّ بكلمة نِحْلَةً أى عن طيب خاطر، فلما كانت مسألة الدفع للغير هى مسألة قد يجد البعض فيها مشقة، فقد أمر الله أن يكون دفع المهر عن طيب خاطر، ليس فيه مماطلة أو مراوغة أو ان يبخس منه شيئا، وإذا أسقطت المرأة وسمحت للرجل عن رضا منها واختيارها شيئا من الصداق {**نفسا**}، وبإرادتها {**فَإِنْ طِبْنَ لَكُم عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ**} فلا حرج فى ذلك، وقد يكون هناك تأخير فى دفعه وبرغبة المرأة أو المعاوضة أى عوضا عنه {**فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**} ونستخلص من الآية أن المرأة لها الحق فى أن تسقط بعضا مما لديها فى مالها من الصداق، وهو دليل على حرية المرأة فى التصرف فى مالها، ولو كان بالتبرع إذا كانت بالغة ورشيدة، وإذا لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طابت به، وهنا تحذير بأن لا نقرب من أموال النساء إلا بقواعد وشروط حددها الشرع، ولا يجوز أن نعتدى على أموالهم وصدقاتهم أو نسقط حقهم فيه إلا بما ارتضين فيه أو عنه وبرضا كامل منهن، وعن طيب خاطر، وهنا إشارة إلى كل زوج أو ولى أن يتقى الله فى النساء حين تتزوج، فكثير من بعض الرجال يتلاعب فى هذا الأمر أو الولى ويأخذ من صدقات النساء أى مهورهن.

إن عدل الرجال للنساء ليس منحة من الرجل، إنما هو عدل الرفقة مع الزمن، فرحمة ولطفا بالنساء، فكفى ما يقمن به من رعاية أجيال تمثل قوام وعماد المجتمعات، فإن جور الرجال عليهن لهو من مكائد هوى النفس فى

الرجـال، ومدعـاة لـردود أفعـال النسـاء كـرد فعـل للظلـم الواقـع علـى المـرأة، فالعـدل لا يتجـزأ ولا ينقسـم، وإن البنـاء لا يكتمـل بشـكل صحيـح إلا بالعـدل بـين النسـاء، فالعـدل لا يكـون عنـوة باسـتئصال حقـوق الآخريـن.

obeikandl.com

المقال الثانى عشر
سد طريق الإباحة

تذكرت كيف كان اهتمام جدتى فى دقة توضيحها وشرحها لأبعاد الآيات، فحين تناولنا ما فى الآية ٢٢ من سورة النساء قالت: يا بنى إن سد الطرق أمام الإباحة المغلوطة والمبنية على قبح العقول والعادات، يحددها الشرع فى آيات الله ليحمى الحرمات وتقطيع الأرحام التى يجب وصلها، فإن نكاح المقت قبيح ممقوت فى المروءة وإن زواج الرابه (زوجة الأب) لهو فاحشة ومقتا وساء سبيلا، وهو ما تظهره الآية **{وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) }**.

والمعنى: لا تنكحوا أيها المؤمنون ما نكح آباؤكم من النساء. لأنه من أفعال الجاهلية القبيحة، أما ما قد سلف ومضى منه قبل نزول هذه الآية فلا تؤاخذون عليه، فمن كان متزوجا من امرأة كانت زوجة لأبيه من النسب أو من الرضاع، فإنها تصير حراما عليه من وقت نزول هذه الآية الكريمة، ويجب عليه أن يفارقها، أما ما مضى من هذا النكاح القبيح فلا تثريب عليكم فيه، وتثبت به أحكام النكاح من النسب وغيره من الأحكام. ويرى بعضهم أن الاستثناء هنا متصل مما يستلزمه النهى، ويستوجبه مباشرة المنهى عنه من العقاب. فكأنه قيل: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه قبيح ومعاقب عليه من الله- تعالى-، إلا ما قد سلف ومضى، فإنه معفو عنه.

ولشرح الآية تفصيليا نرى أنه ورد عدد المفسرين روايات فى سبب نزول قوله- تعالى- وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ الآية.

ومن هذه الروايات ما رواه ابن أبى حاتم- بسنده- عن رجل من الأنصار قال: لما توفى أبو قيس- يعنى ابن الأسلت- وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه

قيس امرأته فقالت: إنما أعدك ولدا لى وأنت من صالحى قومك، ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره.فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبا قيس توفى. فقال: «خيرا». ثم قالت: إن ابنه قيسا خطبنى وهو من صالحى قومه، وإنما كنت أعده ولدا لى فماذا ترى؟ فقال لها: ارجعى إلى بيتك» فنزلت: وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ.

وقال القرطبى: قوله- تعالى-: **{وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ} (النساء: ٢٢). يقال: كان الناس يتزوجون امرأة الأب برضاها بعد نزول قوله- تعالى-: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً}**.(النساء: ١٩). حتى نزلت هذه الآية **{وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ}** فصار حراما فى الأحوال كلها، لأن النكاح يقع على الجماع والتزوج، فإن كان الأب تزوج امرأة أو وطئها بغير نكاح حرمت على ابنه.ثم قال: وقد كان فى العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه. وكانت هذه السيرة فى الأنصار لازمة، وكانت فى قريش مباحة على التراضى، فنهى الله المؤمنين عما كان عليه آباؤهم من هذه السيرة.

وقوله **{وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ}** إلخ. معطوف على قوله: **{لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً}** وما فى قوله **{ما نَكَحَ آباؤُكُمْ}** موصول اسمى مراد به الجنس. أى لا تنكحوا التى نكح آباؤكم. وقوله مِنَ النِّساءِ بيان ل (ما) الموصولة.ويرى بعضهم أن «ما» هنا مصدرية فيكون المعنى. ولا تنكحوا نكاحا مثل نكاح آبائكم الفاسد الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية.

قال الآلوسى. وإنما خص هذا النكاح بالنهى، ولم ينظم فى سلك نكاح المحرمات الآتية «مبالغة فى الزجر عنه. حيث كان ذلك ديدنا لهم فى الجاهلية.فالآية الكريمة تحرم على الأبناء أن يتزوجوا من النساء اللائى كن أزواجا لآبائهم.وكلمة **{آباؤُكُمْ}** فى قوله **{وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ}** تشمل كل الأصول من الرجال.أى: تشمل الأجداد جميعا سواء أكانوا من جهة الأب أم من جهة الأم، والاستثناء فى قوله **{إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ}** استثناء منقطع.وقد وجه صاحب الكشاف الاستثناء بوجه آخر فقال: فإن قلت: كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤهم؟ قلت: كما استثنى أى: إن هذا النوع من النكاح كان أمرا زائدا فى القبح شرعا وخلقا، لأنه يشبه نكاح الأمهات،

ويتنافى مع ما للآباء من وقار واحترام، وما يجب من حسن الصحبة وكان {مقتا} والمقت مصدر بمعنى البغض والكراهية.أى: إن هذا النوع من النكاح كان خصلة بالغة الحد فى القبح والفحش، وكان ممقوتا مبغوضا عند الله، وعند ذوى المروءات والعقول السليمة من الناس.قال صاحب الكشاف: كانوا ينكحون روابهم- أى زوجات آبائهم جمع رابة وهى امرأة الأب- وكان ناس منهم من ذوى مروءاتهم يمقتونه- لفظاعته وبشاعته- ويسمونه نكاح المقت. وكان المولود عليه يقال له المقتى- أى المبغوض- ومن ثم قيل و{مَقْتاً} كأنه قيل: هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح. قبيح ممقوت فى المروءة. ولا مزيد على ما يجمع القبحين.وقوله {وَساءَ سَبِيلًا} أى بئس طريقا طريق ذلك النكاح، إذ فيه هتك حرمة الأب، وتقطيع للرحم التى أمر الله بوصلها.

وقوله «وساء» هنا بمعنى بئس، وفيه ضمير يفسره ما بعده. والمخصوص بالذم محذوف تقديره ذلك أى ساء سبيلا سبيل ذلك النكاح.قال الفخر الرازى: اعلم أنه- سبحانه- قد وصف هذا النكاح بأمور ثلاثة:

أولها: أنه فاحشة لأن زوجة الأب تشبه الأم فمباشرتها من أفحش الفواحش.

وثانيها: المقت: وهو عبارة عن بغض مقرون باستحقار.

وثالثها: قوله {وَساءَ سَبِيلًا}.

واعلم أن مراتب القبح ثلاثة: القبح فى العقول وفى الشرائع وفى العادات. فقوله- تعالى- {إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً} إشارة إلى القبح العقلى. وقوله {وَمَقْتاً} إشارة إلى القبح الشرعى. وقوله {وَساءَ سَبِيلًا} إشارة إلى القبح فى العرف والعادة. ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية فى القبح. وقال الإمام ابن كثير: فمن تعاطى هذا النكاح بعد ذلك- أى استباح تعاطيه- فقد ارتد عن دينه فيقتل ويصير ماله فيئا لبيت المال. لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده، فأمره أن يقتله ويأخذ ماله.وفى رواية عن البراء قال: مرّ بى عمى الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له: أى عم، أين بعثك النبى صلى الله عليه وسلم فقال: بعثنى إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرنى أن أضرب عنقه.

المقال الثالث عشر
نحن فى حاجة لثورة فى الأخلاق

هل نحن فى حاجة إلى ثورة ضد أنفسنا؟ هل نحن فى حاجة إلى الفوران؟ أم أن الفوران قد بدأ ونحن فى غفلة منه، إن أغلب ما نحتاج إليه هو أن نعيد إلى أنفسنا التوازن، إلى سيمفونية التناغم بين أنفسنا وفى أنفسنا، إن التمرد على النفس غالبا ما يكون نتيجة طبيعية لمخالفة المدخلات عن طبيعية المستقبلات لهذه المدخلات فتضطرب الأجزاء، وتعلن عدم قبولها لأى مدخل، كمن يزرع قلبا لا تتواءم أنسجته مع قلب المنزرع إليه أو فيه، وهذا إذا كان مسرح الاستقبال هو مسرح طبيعى مبنى على الفطرة، ولكن هناك من الفيروسات التى لا تُرى فى دخولها إلينا وتكون بداخلنا طفرة فى التصرفات أو لخبطة فى توازن الأمور فيخرج علينا أجنة التصرفات المشوهة، ويصبح لدينا عصيان كامل على مدخلات مَعِيبة على أصولنا الطبيعية وهذا ما نحتاج إليه، إنه التمرد على الأخلاق الغريبة المزينة أمام أعين ضلت الأبصار وحادت عن طريقة استقبال أشعة الرؤى فلم تعد ترى، فتخلت الأقدام عن سيرها وأصبحت كمن يرقص رقصة هيجان لا تهدأ حتى تقع أقدامنا فى المحظور، إنها ثورة الإطاحة بكل ما هو غير أخلاقى، إن الأخلاق هى الأساس فى حياة البشر للاستقامة، وان انحراف البشر عن مسارهم الطبيعى لهو مدعاة إلى القيام بثورة ضد أنفسنا أولا، حتى تستقيم بداخلنا فطرتنا، وإن هذه الثورة هى إعادة إلى حظيرة الإيمان، وأن يكون الايمان بأن هناك عودة إلى الله يقينا لا كلمات تردد على الألسن، وأن هناك يومًا نرجع فيه إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن رغم كل الإشارات والدلالات الموجودة فى حياتنا إلا أن العقيدة الثابتة تقل مع البشر ويظهر ضعف إيمانهم بالعودة إلى الله، وكأن الدنيا لنا باقية، وكم من شخص يقرأ ويعى، وإذا فهم الأمر هل يطبقه؟ وإذا طبقه هل يجيد التطبيق، إنها إشكالية فى القراءة والكتابة، أى فى التعليم **{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}** ، وإشكالية كبرى أكثر من الكتابة وهى أن نتدبر، إن التدبر فى إعمال الفكر بمجرد ان

نحلل الخاطر العقلى للاستفادة منه لهو أمر تكليف للتأمل فى الدلالة العقلية **{قُلْ هَلْ يَسْتوى الأعْمَى والبَصِير أفَلا تَتَفَكرون}**، والإشكالية الثالثة هو التطبيق والإيمان بالتطبيق مبنى على العقيدة والإيمان بالنهاية **{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون}**. (المؤمنون : ١١٥)، ونعود مرة أخرى إلى الثورة على أنفسنا، وما هو الذى أوصلنا لهذا الأمر، إنها الزينة ياجدتى، نعم فالزينة تعنى ظهور الأمر فى أجمل حلله، فمن يضمن منا ما تحت الزينة وهل هى زينة حقيقة أم مقصود بها التضليل **{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}** فاطر ٨، إن اتباع الأهواء دون أن ننظر إلى حقيقة الأمر يحدث بداخلنا إرباكا شديدا لان هناك من يوسوس بداخلنا ويدعونا إلى غير الحق، وهنا تكمن أصل المشكلة لأن الشيطان يوسوس لنا بأن ما نفعله صحيح **{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}** محمد: ١٤ليس غريبا علينا أن نرى المخالفات الأخلاقية تستشرى بيننا، وتزيد؟ إنها زينة الشيطان كى يضلنا عن السبيل، **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، فلنعد إلى أنفسنا ونفهم ماذا نريد، وأن نزيد من اعتقادنا، بل لنعلم أننا إلى ربنا ذاهبون، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، إن من يؤمن بذلك فقد فاز فوزا عظيما. إن غفلة النفس يُلبسها الشيطان حللا زائفة تعمى أبصارنا حتى نصل إلى حفرة الخطيئة فتزل أقدامنا إلى جب المعصية، فلنعلن الثورة على أنفسنا لنعدل فينا القيم والأخلاق المتأرجحة. فلنعلن الثورة على الأخلاق ولنبدأ بأنفسنا ونتذكر يوما قادما لا محالة **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}**. (الشعراء: ٨٨– ٨٩). اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِى الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا. فها نحن على عتبة الشهر الفضيل، فأدعو الله أن يعدل أنفسنا ويُقَوِّم سلوكياتنا، فحافظة العمل كم امتلأت من أخطاء، فلنصوب الأخطاء، فليس هناك إعادة للامتحان، فلنظفر قبل أن يدق ناقوس النهاية. فليتق كلٌّ منا الآخر، والآخر هنا بمعنى أن نتقى الله فى أنفسنا الوديعة التى ستسلم إلى الله، والآخر هنا أيضا بمعنى أن نتقى الله فى أولادنا وهم كذلك عليهم أن يتقوا الله فى تصرفاتهم معنا، إنها ثورة على الأخلاق.

المقال الرابع عشر
اشتياق

كم أناديك، يا من أضفت بعلمكِ الكثير، اشتاق لك فى هذه الأيام، بل كل الأيام، كم أترحم عليك، أتذكر حديثك، علمك، حين كنت تعلمينني من كتاب الله، تجاوزت ذاكرتى فسيح المكان، والزمان، وتساءلت أى خطى هى نحن نسير، وألف علامة استفهام، تدور فى رأسى وكأنه خمر الكلمات قد فاق حد الفوار، وأعود لأسال نفسى هل ما نبنيه فى حياتنا بناء قش أم بناء صخر؟ وتعاود نفسى أطروحتها من مخزن بناء الحرف والكلم النقى من شوائب ما رأيت فى ألسنة البشر وأعينهم، حتى توقفنى الآيات الكريمة من كتاب الله، **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُوَيُبْصِرُونَ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**.(القلم: ٤-٧) فتوقفت قليلا، وعلمت أن معيار التقييم هو الخُلق فى الخلائق، وأن أى صفة تخالف الخُلق تخرج عن تقييم النفس الكريمة، وإذا ما قرأنا الآية:

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}.(الأعراف: ١٩٩). فما هو العفو؟ العَفْوُ : خيار كلّ شيء وأجوده وهذا يعنى الاختيار الافضل، وما معنى العرف؟ العُرْفُ ما تعارف عليه الناس فى عاداتهم ومعاملاتهم.

إن الصفات الكريمة فى الأخلاق لهى بمثابة لبنة البناء المستديم الذى لا يُعَريه النكبات سواء كانت صلبا، أو صلدا يقاوم شرور الحياة. إنها صفات النبيل، **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌعَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}**. (التوبة: ١٢٨).إن مكارم الأخلاق ان سادت بيننا لسوف نرى الحياة بشكل براق يريح النفس ويطيب له القلب، فهل نرى يا جدتى فى هذه الأيام من الصفات ما تشرح صدورنا، فأين لين القول وعبق رائحة الحرف، أين يا

جدتى من يقض حاجات البشر فيما بينهم دون أى ضجر ودون أهداف مخبأة فى ضمير البعض، أين من يجبر قلبا سأله؟ أين يا جدتى من لا يرد سائلا؟ جابر للقلب لا يحرمه. أين من يقابل الناس بوجهه السمح تعلوه عيون الابتسامة؟ هل أصبحت الحياة استبدادا بالرأى ومخالفة التشاور حتى أصبح مخالفة الرأى دون حجة أو دليل سمة تغلب على صفحات الجهالة فى الحرف أو الدليل؟ ولم يعد المرجع الأساسى فى حياتنا هو الخلق الكريم، بل فظاظة وجه، وعبوس فى تقاسيم العين وفلتات لسان وغلظة قول إنها عوائق الراحة الممتعة وابتعاد عن الخلق الكريم، ويعود الأمر يا جدتى إلى أن الكثير لا يدرك معنى اللفظة التى تخرج من بين طرفى اللسان وأصبحت سمة الطلقات المستمرة من الحروف المحدبة كالسهم يصيب به أيا مما نملك، إن الاحسان إلى الغير يا جدتى لم يعد فى قاموس البشر مألوفا وأصبحت العادات الحميدة من غريب الأفعال.

ولما كانت الأخلاق بدأت فى الاندثار فلابد من صحوة تعيد هذا الأمر إلى مساره يا جدتى كما تعلمنا منك، إن منزلة البشر فى أخلاقهم وليست فى كثرة أموالهم ولا أولادهم، إن فتنة العباد بين البشر لهو أمر جد خطير فكم من فتنة بالعين نراها وكم فتنة فى لب الكلام، وكم من فتنة فى اقتحام حياة البشر يا جدتى، إنها فتنة المقصود بها تحطيم الأخلاق، بمعول هدم الحرف وإسقاط المعنى فى جُبٍّ عميق لا ينجو منه إلا القليل. تعلمت منك يا جدتى أن اتباع الأهواء بما يخالف قول الحق، هو أمر يؤدى إلى هلاك الأمم، تذكرت يا جدتى حين قرأت على الآية **{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}**.(القلم: ٩). وكأن البشر يريدون ان يظهروا خلاف ما تضمر أنفسهم، فالحق يا جدتى لا يخالفه الا من يرى فى مصلحة نفسه الاختيار الأوحد، وما يخالف ذلك من البشر يصبح بالنسبة لطرفى التوازن هو اختيار هوى النفس بما ترغب. إنها الأنانية يا جدتى، لم نعد نألف يا جدتى كيف نتعايش، لقد أصبحت معادلة خلط الكلمات، فى تحاور البشر لا تنتمى إلى قاعدة الامتزاج المتكافئ بقدر ما تميل به إلى قاعدة فصل المواد، فلم يعد المزيج رائقا بل منفصلا، فخرجت الألفة من القلوب وأصبح لحن الحياة فيما بين البشر ناشزا، لا يطرب أذنا ولا يطرب قلبا، إنها موسيقى البشر شاذة الحرف, التى أصبحت تصبينا بداء

الصمم فأغلقت الآذان وأبهر الضوء العيون فأصيبت بالعمى وأصبحت القلوب عليها آثار الكلمات الخارقة والحارقة، يا جدتى هل يعود زمنك، كيف نقضى على خسة نفس، من طعن فى غيبة واستهزاء؟ لقد ترك البشر دستور حرفهم إلا من رحم، وأصبح كثير من البشر تلوك ألسنتهم الآخرين بالغيبة والنميمة. إنه الإفلاس يا جدتى، إنه الفساد فى الأخلاق، وأكاد أجزم يا جدتى انه لن ينصلح أمر إلا بصلاح الأخلاق. فأين نحن من ذلك؟ فلنقرأ معا سورة القلم وندرك فيها الكثير، وهذا ما سنحاول يا جدتى أن نتناوله فى حديثى القادم. فما هى إلا سويعات تفصلنا عن شهر الجود والكرم، فلنكرم شهرنا حتى يكرمنا الله، ولنفعل خيرا ولو بآية نقرأها ونفهمها. إنه شهر حصاد الأعمال، فندعو الله أن يكون حصاده وافرا و وفيرا اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد، صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، وأنت المستعان وعليك البلاغ. ولا حول ولا قوة إلا بالله.اللهم إنى أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع.

obeikandl.com

المقال الخامس عشر
رد حقوق الآخرين

{وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}. (النساء: ٦). الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشده، شيئًا من ماله، ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشده من سفهه، فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمرا كثيرًا. فإن تبين رشده وصلاحه فى ماله وبلغ النكاح **{فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}**، أى كاملة موفرة. **{وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا}**. أى مجاوزة للحد الحلال الذى أباحه الله لكم من أموالكم، إلى الحرام الذى حرمه الله عليكم من أموالهم، **{وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا}**.أى ولا تأكلوها فى حال صغرهم التى لا يمكنهم فيها أخذها منكم، ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك إن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها.

وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء الذين ليس عندهم خوف من الله ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال فرصة فيغتنموها ويتعجلوا ما حرم الله عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها.

إن ارتباط الرشد إنما يرتبط بعلامات تميز الإنسان، وإن العمر الزمنى يختلف كثيرا عن العمر العقلى، فالرشد له علاماته، إن ركيزة العمر لا تقارن بالعمر الزمنى، إنما بالعمر العقلى تميزا، وإن استغلال الأعمار غير الناضجة فى إدارة المصالح والمنافع الخاصة إنما هى من باب سوء إدارة أموال القصر وغير الراشدين.

ولما كان المال هو منفعة فى دوائر العلاقات الإنسانية، فإن سوء استغلاله واحتكاره فى طرف عن طرف ليؤدى إلى نزعة الكراهة والعداء بين الناس بعضهم بعضا، وتصبح العلاقات علاقات قتالية، وإن حسن التصرف فى الأموال فى اليتامى أو السفهاء لهو من الحكمة لعدم ضياع الحقوق وهى أمانات فى الأعناق، وإن الحكمة لتقضى الحفاظ على المال بعدم تسليمه لمن لا يحسن التصرف فيه، وإن من الأهمية بمكان الحفاظ على المال بمشروعية الرهن وكتابة الدين والوصية إن حمل الأمانة على أكتافنا كميزان العدل إن اختل فينا انقسمت ظهور الرجال.

obeikandl.com

المقال السادس عشر
القسمة والاستقصاء

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}.(النساء: ٧).

إن العرب فى الجاهلية قد بلغت بهم القسوة إنهم لا يورثون الضعفاء أمثال النساء والصبيان، ويكتفى بالرجال الأقوياء فى الميراث بزعم أنهم أهل الحرب والقتال والنهب والسلب وأراد الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده شرعا يتساوى فيه الرجال والنساء والقوى والضعيف فقدم الله أمرا ليتوطن بالنفس فقال تعالى: **{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ}**.أى إن لهم حصة معينة **{مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ}**.أى الأب والأم **{وَالأَقْرَبُونَ}**.أى من هم أقرب فى الصلة، وقد جاء العموم بعد الخصوص وكذلك لم يترك الأمر يخص الرجال بل **{وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ}**. وحتى لا يكون هناك لبس فيما يتم توزيعه من الأنصبة جاء **{مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ}**. وهذا يعنى انه مهما صغر أو كبر فلا نتغاضى عن توزيع الأنصبة، ويلاحظ أن كلمة نصيب جاءت بعد كلمة للرجال وكذلك نصيب جاءت بعد كلمة للنساء، فكلمة نصيب فى الحالتين لا تتساوى لماذا؟ لأن يوضح ذلك **{نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}**. أى إن لكل منهم نصيبا معينا سوف يأتى فيما بعد فى آيات المواريث، وقد روى ابن مردويه من طريق ابن هراسة عن سفيان الثورى، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال جاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن لى ابنتين وقد مات أبوهما، وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى **{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}**.

إن سياسة الإقصاء والاستبعاد، جبروت يخالف الفطرة، فاستبعاد حقوق البشر هو نوع من الاستعباد من باب السلب والنهب بدون وجه حق, تشابه فى شكلها وأد الأحياء، ومتى استعبد البشر فى حق من حقوقهم، كان الظلم بعينه. وإن العادات القبيحة فى الاستيلاء على أموال الضعفاء هى القرصنة بعينها. وإن البشر متساوون فى وراثتهم مهما اختلفت قدراتهم، فإن اختلاف قدرات البشر مكملة لما بين البشر. وإن عين الإنصاف تتسع لكل الحاضرين، ولا تغفل حقا صغيرا أو كبيرا.

obeikandl.com

المقال السابع عشر
الحقيقة الغائبة

لعلنى حين كتبت العنوان توقفت أمام معنى الحقيقة، فالحقيقة هى الشيء الثابت يقينا، وهى اسم، وإن استخدام كلمة الحقيقة إنما تعنى استعمال الكلمة فى معناها الأصلى لأنه من المعروف أن سوء استخدام الكلمة يؤدى إلى التضليل، وهو يؤدى إلى بتر المعنى الأصلى، وكثيرا ما نرى الحقيقة، ولربما نسمع بها، أو نقرأ عن الحقائق، فهل نحن مؤمنون بالحقيقة الغائبة؟ فالحقيقة الغائبة رغم حدوثها بصفة متكررة، ورغم أنها فى داخلنا، ونستشعر بجوانبها إلا أن هناك من ينسينا هذه الحقيقة وتغفل العين رغم رؤية الحقيقة، وتلهو القلوب رغم هذا كله، فنصل إلى التصوير البديع والرائع فى الآية **{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)}** (الأنبياء)، فهل تيقن الناس بأمر الحساب؟ تمر الآيات أمام أعيننا أو أسماعنا ولكن من المؤسف أن الإحساس بالحقيقة يصبح مُغيبا كثيرا، فما هو السبب وراء هذا التغيب فى التناسى أو النسيان، فتأتى الإجابة سريعا إلى ذهنى فى الآية ٦٣ من سورة الكهف قال: **{أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا (٦٣)}**، انه الشيطان **{وما أنسانيه إلا الشيطان}**. فهو الذى يضع ستائر الإخفاء والتضليل بكل ما لديه من اختراق داخلنا ومداخل المرء كثيرة يسهل اختراقها، فهل نملك قوة التحصين؟ إن هذا الأمر ليس بهين، إنما هو أمر يحتاج إلى بناء النفس جيدا، نفس يصعب اختراق جدرها مدعومة باليقين، فمن يدعم هذه الحقيقة الغائبة، إن العقيدة إذا غابت عنا، ولم نؤسس قوامها، من مدخلات تصل إلينا من خلال الأبصار أو السمع أو القلوب، فحين

نقرا فى آيات الله علينا أن نتدبر، علينا أن نبصر، علينا أن نفكر، وبالتالى علينا أن نستخدم أدوات الإبصار والتدبر والتفكر، فإذا مرت علينا الآية : { **وجعلنا من الماء كل شيء حي}** يتوجه الفكر إلى أن وحدة مصدر الحياة التى تحكم الحياة فى هذه الأرض التى نعيش عليها، وهى البداية من الماء وهى حقيقة ثابتة، وتنتهى الحياة من وحدة البداية إلى وحدة النهاية وهى الحقيقة الغائبة عنا وهى حقيقة مطلقة نراها كل يوم وتمر ولا نستعد لها، كل نفس ذائقة الموت، آل عمران آية ١٨٥ **{كُلُّ نَفْسٍ}**. سَتَذوقُ طَعْمَ الْمَوْتِ، أَى مَآلُها واحِدٌ، اذن نحن امام وحدة البداية ثم وحدة النهاية ثم وحدة المصير وهذه دورة حياتنا، ووحدة المصير فى قوله **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ»** (الأنبياء: ٣٥)، إذن نحن أمام حقيقة مطلقة فى وحدة البداية وجعلنا من الماء كل شيء حى ثم وحدة النهاية **{كل نفس ذائقة الموت}**. والوحدة الأخيرة هى وحدة المصير والينا ترجعون، وعلينا أن ننتبه إلى انه بين وحدة النهاية ووحدة المصير وَنَبْلُوكُمْ بِالشّرّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً، وهى عمليات الحياة التى نعيش بداخلها، فتطل علينا فى الآية كلمة **{وَنَبْلُوكُمْ}**. وكلمتى **{بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ}**. وكلمة **{فِتْنَةً}**. فما معنى هذا، أولا علينا أن ننتقل من مرحلة الوجود أى الولادة إلى مرحلة ما بين الولادة ومرحلة النهاية، فما بين الولادة والموت **{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}. وسرعان ما تظهر فى ذهنى الآية {خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}. (٢) سورة الملك .**

أى انه بين الموت والحياة ابتلاء، وأن اشتراك الآية ٣٥ من الأنبياء والآية ٢ من سورة الملك فى كلمتى **{ وَنَبْلُوكُمْ، لِيَبْلُوَكُمْ}**. من هنا علينا أن نقف أمام وَنَبْلُوكُمْ و لِيَبْلُوَكُمْ، فنجد أن ليبلوكم تعنى ليختبركم، إذن دار الحياة هى دار ابتلاء أى اختبار، وكأننا فى امتحان مفتوح، من المراقب على ورقة الأسئلة، وكيف نستطيع أن نجمع درجات عالية فى دار الابتلاء أى دار الاختبار؟ إن أيا منا حين يمر فى مرحلة دراسية لكى يحصل على إجازته العلمية لابد من اختبار، ويحاول كل منا أن يستعد لهذا الامتحان بكل ما أوتى من قوة، ويستعد ويسهر ويذاكر، والسؤال هل نتعامل مع حقيقة الابتلاء فى الحياة كما تعاملنا فى حياتنا الدراسية؟ أكاد أجزم بالمطلق بلفظة لا، إلا من رحم، قليل

منا استعد للحقيقة الغائبة، وقد ذكرت كلمة ليبلوكم فى سورة المائدة آية ٤٨، وسورة الأنعام آية ١٦٥، وسورة هود آية ٧ وسورة الملك آية ٢ فلنتأمل كل هذه الآيات لنرى أنه رغم الحقيقة الواضحة والتى نراها ونسمعها ولدينا مرجع هو قرآننا إلا أنها غائبة عن كثير إلا من رحم، إنه لهو القلوب.

{وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.المائدة ٤٨ –

وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.الأنعام ١٦٥-

{وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}.هود ٧

{الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}.الملك ٢.

وأما كلمة ونبلوكم فى سورة الأنبياء **{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}**. الأنبياء ٣٥، تعنى أيضا نختبركم، ونحن أمام امتحان بين الخير والشر، وهو ابتلاء، وحين ننظر إلى ما يحدث فى عمليات الحياة، حتى نصل إلى نهاية الحياة نصل لكلمة فتنة» فما معنى ذلك؟ إذا قلنا أَذَاقَهُ الفِتْنَةَ أى العَذَابَ ففى الذاريات آية ١٤ **{ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}**. وإذا قلنا هُوَ فِى فِتْنَةٍ أى فِى ضَلَالٍ ففى المائدة آية ٤١ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً.

إن ما بين الخير والشر فتنة، وتغيب بداخلنا الحقيقة المطلقة فى وحدة المصير والتى تأتى بعد وحدة النهاية، فالموت حقيقة مطلقة لا يعلمها الغافلون، ويسقط المرء فى ابتلاء الدنيا حين تغفل الأعين وتصم الأذن، ويلهو قلب البشر. إن الحقيقة الغائبة تكمن فى لهو القلوب وإنكار درجة الوصول إلى الموت رغم أنه يحيط بنا، فإذا لهت القلوب عمت الفوضى وضاعت القيم والمبادئ، فمن استعد للحقيقة الغائبة؟!

المقال الثامن عشر
رؤية فى أبعاد البناء(٢)

الحمد لله رب العالمين، الذى أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم. سوف نبدأ معا فى رؤية أبعاد البناء الإنسانى فى سورة النساء، وقبل أن نبدأ فى رؤية ملامح وأبعاد الآية، علينا أن نعلم أن لبنة الأسرة الأساسية تتكون من الزوجين، وأن العلاقة التى بينهما من الأهمية أن تكون فى ود ورحمة وتفاهم كبير، ورعاية حقوق الآخرين.لقد بدأت سورة النساء بالآية: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}**. (النساء: ١)، وهى تعنى أن الله سبحانه وتعالى يخاطب عامة الناس، وأن هذا الخطاب خطاب لأصول الدين، ويخاطب الله فطرة الإنسان وعقلة، بقوله **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ}**. معنى تقوى الله خشيته والخوف منه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لأن مردنا إليه، وإليه ترجعون، وهى رسالة تحذير للإنسان أنه سيرجع إلى ربه، وكما جاء فى الآية ١١٥-١١٦ سورة المؤمنون **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}**. إذن الآية ١ فى سورة النساء نداء ومخاطبة للبشر وعامة الناس وهى خطاب تحذير وأن الكون له رب سوف نعرض عليه وسوف نحاسب، وإذا فرضنا أن إنسانا قد تطاول على عبد وجار عليه فى حقوقه وقهره وظلمه فإن الله سبحانه وتعالى يوضح لنا فى الآية أهمية أن نتقى الله فى أفعالنا، فلسنا فى الحياة بالمطلق والكلية، وأن الله سيقتص من الظالم إن لم يتق الله ربه، **{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}**. البقرة ٤٨، إن الإنسان فى هذا الكون وإن كان له القدرة على الحركة ظنا، وفعل ما يحلو له وهما، إلا أنه مقيد وليس مطلقا يفعل ما

يحلو له، فأنت في انتظار دائم فنحن على قوائم الانتظار، ميتون متحركون على ظهر الأرض، منتهون في باطن، فسنة الكون ذات ضابط ونظام، ولنا أن نتخيل أى مجتمع ليس به نظام هل يسوده أمن؟ إن تقوى الله هى فى اتباع قانون الله والامتثال إلى أوامره ونواهيه واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله.

إذا نظرنا إلى تكملة الآية كما في مطلع المقال **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}**. فسنجد أن الله سبحانه وتعالى قال **{الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}**. أى أنه هناك عدل فنحن مخلقون من طبيعة واحدة من خصائص واحدة ولدعوة واحدة والكل مدعوون إلى الله، إذا نظرنا أيضا إلى وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، أى الزوجة وهى من نعم الله، وهى إنسان لها فكر ولكن الإشكالية فيما بين الذكر والأنثى تبدو فى **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}**. سورة آل عمران ٣٦.

فهنا الخصائص الجسدية والعقلية مختلفة دون أى تفضيل مع ذلك كله فإن الذكر والأنثى متساويان من حيث التكليف والتشريف والمسئولية و الخصائص الجسمية مختلفة، أما قول الله تعالى **{وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً}**. ففى أبحاث المؤتمر العالمى السابع بدبى عام ٢٠٠٤ ذكر د.كريم عبد المعبود –والله تعالى أعلم– إلى أن الآية الكريمة تتناول نسبة النوع عند الولادة: قال تعالى **{يا أَيّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِى خَلَقَكُمْ}**. فالعلة هى تقوى الرب الذى خلقنا والإله الذى أوجدنا **{مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ}**. يعنى من آدم عليه السلام **{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}**. أى خلق من النفس الواحدة زوجها وهى حوّاء **{وَبَثّ مِنْهُمَا}**. الضمير راجع إلى آدم وحواء، والمعبر عنهما بالنفس والزوج، والمعنى أى خَلَق وذرأ أو فرق ونشر منهما على وجه التناسل والتوالد، فلحظة البث هى وقت الولادة، حيث ينفصل الخلق الجديد كلياً عن الأم ويصبح كائناً محدداً مستقلاً بذاته، **{رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً}**. والمراد هو الذكور والإناث مطلقاً تجوزاً وليس الرجال والنساء البالغين والبالغات، وحكمة مغايرة اللفظ هى تأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره، وأن فى صدر الآية أمر بالتقوى، ولذا ذكر الكبار منهم لأنه فى معرض المكلفين بالتقوى. وظاهر النص يوضح بجلاء أن كثرة عدد الذكور عن الإناث عند الولادة هى كثرة فعلية وليست ظاهرية

أو مجازيـة، وهـى سـنة الله تعـالى فـى الخلـق، والتـى أظهرتهـا الحقائـق العلميـة الحديثـة، وهـى غلبـة عـدد الذكـور علـى عـدد الإنـاث عنـد الـولادة، وهـو مـا يعـرف بالنسـبة الثانويـة لنـوع الجنـس للمواليـد، وهـى حـوالى ١,٠٥ (أى ١٠٥ مولـود ذكـر لـكل ١٠٠مولـود أنثـى)، وفـى هـذا حكمـة إلهيـة، حيـث أن فرصـة الإنـاث فـى البقـاء علـى قيـد الحيـاة – خاصـة فـى السـنة الأولى مـن العمـر– أفضـل مـن مثيلتهـا فـى الذكـور، وبالتـالى تصبـح النسـبة ١ (أى ١٠٠ ذكـر لـكل ١٠٠ أنثـى) أثنـاء فـترة النضـج الجنسـى والتناسـل، وهـى أفضـل نسـبة لضمـان بقـاء نـوع الإنسـان، بينمـا تنعكـس النسـبة فـى الأعمـار المتقدمـة، فالآيـة الكريمـة تبـين لنـا قانونـا مـن قوانـين الخلـق التـى سـنها الله سـبحانه وتعـالى، وهـى الكثـرة الفعليـة لعـدد الذكـور مقارنـة بالإنـاث عنـد الـولادة، لمـا فـى ذلـك مـن حكمـة لضمـان إعمـار الأرض بالإنسـان كمـا قضـى الله عـز وجـل .وإذا نظرنـا إلى **{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}**. أى اتقـوا الله أن تعصـوه واتقـوا الأرحـام أن تقطعوهـا، وإذا نظرنـا بدقـه لهـذه الآيـة نجـد ان النظـام الاجتماعـى أو الضمـان الاجتماعـى فـى تكليـف الـزوج بالزوجـة والأولاد تبـدو فـى الآيـة وتظهـر حيـث إن الإنسـان مكلـف بالإنفـاق علـى إنسـان، وسـوف يظهـر لاحقـا فـى نظـام النفقـة فـى هـذه الصـورة روعـة ودقـة النظـام الاسـرى فـى الضمـان الاجتماعـى سـواء فـى الإنفـاق أو فـى المواريـث أو فـى الطـلاق، وهنـاك فـى الأحاديـث الشـريفة مـا يزيـد عـن ثلاثـين حديثـاً صحيحـاً كلهـا تعـد قاطـع الرحـم بالنـار، بـل إن الرحـم مشـتقة مـن اسـم الله الرحمـن .صلـة الرحـم تعنـى أن تـزور أرحامـك، وبالتعريـف الدقيـق للأرحـام : مطلـق أقربائـك، مـن دون تدقيـق أقربـاء الأم والأب، مطلـق أقربائـك، أن تزورهـم، وأن تتفقدهـم، وأن تعينهـم، وأن تأخـذ بيدهـم إلى الله، لأن الله عـز وجـل قـال **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**. سـورة الشعراء ٢١٣.

المقال التاسع عشر
المكاسب الرديئة

يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)}. .

يا جدتى فى الآيتين ٢٩، ٣٠ من سورة النساء، يبين الله كيف تكون المعاملات المالية بين البشر، وأن الله سبحانه ينهى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وألا يتعاطوا الأسباب المحرمة فى اكتساب الأموال، لكن بالمتاجرة المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى، على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول ؛ لأنه يدل على التراضى نصا، ونهى الله عن ارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه، وإن ما جاء فى الآية ٢٩ من نهى ان تم فعل عكس ما تنهى الآية عنه كأنه قتل نفسه، وان مسألة المعاملات المالية يدخل فيها البيوع وهناك من البيوع المحرمة فى الشريعة منها بيع المطعوم حتى يستوفى أى يطابق شروطه مثل المطعوم حلوا أو مرا، لأنه فى أحيان كثيرة يتم الشراء دون معاينة وتقتضى حالة البيع الصحة، أى مطابقة المواصفات مع التراضى على ذلك، ومنها بيع المسلم على المسلم وهو أن يتراضى المتبايعان على ثمن سلعة، فيجيء آخر فيقول للمشترى: أنا أبيعك مثل هذه السلعة بأنقص من هذا الثمن، أو يقول أبيعك خيراً منها بثمنها أو بدونه.وصورة الشراء على شراء الغير هى: أن يتراضى المتبايعان على ثمن سلعة، فيجيء آخر فيقول للبائع: أنا أشترى منك هذه السلعة بأكثر من هذا الثمن. وكل هذا منهى عنه، وإنما حرم لما يسببه من العداوة والبغضاء وحدوث المشاكل.

بيع النجش والنجش فى البيع ممنوع حرام، ويأثم فاعله، وإن كان معروفاً بذلك أدِّب، وهو أن يعطى الرجل ثمناً فى سلعة ليس له قصد فى شرائها، بل ليقتدى به ويغر غيره.

بيع المحرم والنجس فقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «إن الله حرم بيع الخمر والميتة».

بيع ما غرر به فلا يجوز بيع سمك فى بحر أو طير فى هواء، ليس كل الغرر محرّم، فإذا كان الغرر يسيراً تدعو إليه الحاجة، أو يتسامح الناس بمثله – ومردّ ذلك إلى العرف – فلا يؤثر ذلك فى البيع، كالجهل بأساس الدّار المباعة؛ والممنوع هو الغرر الفاحش، الذى يؤدى إلى الخصومة وأكل أموال الناس بالباطل. ومن البيع المحرم الكثير، كبيع بيعتين فى بيعة، «نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن بيعتين فى بيعة»، وتفسير الحديث فأما تفسير بعضهم إياه بقولهم: بعتك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة.. فهو تفسير لا صحة له ولا يطابق الحديث؛ لأنه إذا قال: آخذه بعشرة نقداً.. البيعة كم؟ بيعة واحدة، وإذا قال: بعشرين نسيئة. فالبيعة بيعة واحدة، ليس هناك بيعتان، فالصحيح أن حديث الرسول يفسر بعضه بعضاً حيث قالرسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، : «من باع بيعتين فى بيعة فله أوكسهما أو الربا»، وهذا ينطبق تماماً على مسألة العينة: أن يبيع شيئاً بمائة إلى أجل، ثم يشتريه ممن اشتراه بثمانين نقداً، فهنا بيعتان، والمبيع واحد.

فقوله: «فى بيعة» أى: فى مبيع «فله أوكسهما» ما أوكسهما؟ الثمانون، فإما أن يأخذ بالثمانين ويقول للمشترى الأول: سقط عنك عشرون، وإما أن يبقى البيع الأول على ما هو عليه فيأخذ الربا وهو العشرون الزائدة على الثمانين.. هذا أصح ما قيل فيه؛ لأنه حديث يفسر بعضه بعضاً.

وأما مسألة: بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة، فالمسألة بيع واحد لكنه خيره. وهناك بيع الدين بالدين، فمثلا قد يقوم شخص بالبيع لآخرين بآجل، ولظروف يريد مغادرة المكان فيقوم ببيع هذا الدين لآخر بأقل منه على أن

يقوم الثانى بتحصيل المبلغ من المشترين ليعلم أن هذه المعاملة من جملة صور بيع الدين بالدين، وبيع الدين بالدين قد يكون لمن عليه الدين، وقد يكون لغير من هو عليه الدين، وهذه المعاملة من النوع الثانى.

ثانياً: أن بيع الدين بالدين كثير، من صوره المحرمة والتى لا تجوز، بل أطلق بعض العلماء القول بعدم جوازه، وهذا ما نفهمه من ظاهر قول صاحب زاد المستقنع حيث قال: «لا يجوز بيع الدين بالدين»، ثم إن المعاملة التى وردت فى السؤال محرمة من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنها من بيع الدين بالنقد أى بجنس الدين، وهذا لا يجوز لأنه ربا فضل وربا نسيئة لأن المشترى دفع أقل ليأخذ عنه أكثر من جنسه بعد حين.

الوجه الثانى: أنها من بيع الكالئ بالكالئ أى المؤخر بالمؤخر، وذلك لأنه قد ورد فى السؤال أن المشترى يدفع جزءاً من المبلغ وهو الجزء الأكبر، والجزء الآخر يكون ديناً على المشترى للبضائع. وهذا هو بيع الكالئ بالكالئ.

الوجه الثالث: أن فيه غرراً وذلك لأن الدين (أى دين المشترى الجديد) يشبه أن يكون غير مقدور على تسليمه لأن ما يطلبه المشترى من زبائنه الجدد وهو الدين الذى فى ذمتهم قد يوفى له وقد لا يوفى، فلا يصح إذا، والعلة من النهى عن بيع ما فى الذمم هى الخوف من الغرر وعدم التسليم، والله أعلم. وقد نهى رسول الله عن بيع الكالئ بالكالئ أى بيع دين بدين، وهناك الكثير من البيوع المحرمة يمكن الرجوع إليها فى كتب الفقه. وإذا عدنا إلى الآيات وشرحها المبسط:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)}..ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة. بل لعله يدخل فى ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق. ثم إنه -لما حرم أكلها بالباطل- أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من

الموانع، المشتملة على الشروط من التراضى وغيره.{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}.أى: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل فى ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك{ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}. ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود. وتأمل هذا الإيجاز والجمع فى قوله{لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ}.{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}. كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله: «لا يأكل بعضكم مال بعض» و«لا يقتل بعضكم بعضًا» مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط. مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية. ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التى فيها غاية الضرر عليهم، على الآكل، ومن أخذ ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والتجارات، وأنواع الحرف والإجارات، فقال: {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}.أى: فإنها مباحة لكم. وشرط التراضى -مع كونها تجارة- لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا؛ لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين ويأتى به اختيارًا. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوما، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدورًا على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده. وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا، فبأى طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: { {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}. ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها ونهاكم عن انتهاكها.

{وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}. ثم بين- سبحانه- سوء عاقبة من يفعل ما نهى الله عنه فقال: وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً، وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً.واسم الإشارة فى قوله {ومن يفعل ذلك}. يعود إلى المذكور من أكل الأموال بالباطل ومن القتل. وقيل الإشارة إلى القتل لأنه أقرب مذكور.والعدوان: مجاوزة الحد المشروع عن

قصد وتعمد.والظلم: وضع الشيء فى غير موضعه.والمعنى: أن من يفعل ذلك المحرم حال كونه ذا عدوان وظلم عاقبه الله على ذلك عقابا شديدا فى الآخرة، بإدخاله نارا هائلة محرقة، وكان عقابه بهذا العذاب الهائل الشديد يسيرا على الله، لأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء.

وجمع- سبحانه- بين العدوان والظلم ليشمل العذاب كل أحوال الارتكاب لمحارم الله، وليخرج ما كان غير مقصود من الجرائم، كمن يتلف مال غيره بدون قصد، وكمن يقتل غيره بدون تعمد، فإنه يكون ظالما وعليه دفع عوض معين للمستحق لذلك، إلا أنه لا يكون مستحقا لهذا العذاب الشديد الذى توعد الله به من يرتكب هذه الجنايات عن عدوان وظلم.

إن علاقة البشر بالشر أرزاق، وإن تحرى الأرزاق لهو من باب الاعتدال فى النفس وقوامها، وإن المعاملات المالية بين البشر بهدف الحصول على مكاسب رديئة تبنى مجتمعا هشا مبنيا على الغش فتزداد بين أفراده الكراهية، وإن أشد المعاملات التى تسيء بل تدمر العلاقات البشرية هى المعاملات المالية المستغلة والجائعة والمتعطشة للكسب بأى شكل أيا كانت حرمته، فلنتحرَ طيب العيش، ليصح نبت أولادنا وأحفادنا.

obeikandl.com

المقال العشرون
اتخاذ القرار

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}.(النساء: ٩).

الحمد لله على ما أعطانا وما نحن فيه، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله العدل اليقين لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين، سبحانك إنى كنت من الظالمين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيى ويُميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير.

إن هذه الآية يقصد بها من حضره الموت، أى فى فترة مرض الموت، وأعلن أو بدأ يوصى بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذى يسمعه أو يلقنه أن يتقى الله، ويوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشى عليهم الضيعة.وهكذا قال مجاهد وغير واحد، وثبت فى الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على سعد بن أبى وقاص يعوده قال : يا رسول الله، إنى ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال : لا. قال: فالشطر؟ قال :لا. قال : فالثلث؟ قال» : الثلث، والثلث كثير «. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس «.وفى الصحيح أن ابن عباس قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الثلث، والثلث كثير».

قال الفقهاء : إن كان ورثة الميت أغنياء استحب للميت أن يستوفى الثلث فى وصيته، وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث.وقيل : المراد بقوله : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله) [أى فى مباشرة أموال اليتامى، ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا حكاه ابن

جرير من طريق العوفى، عن ابن عباس : وهو قول حسن، يتأيد بما بعده من التهديد فى أكل مال اليتامى ظلما، أى : كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس فى ذرياتهم إذا وليتهم.

إن اتخاذ القرارات يحتاج الكثير من حروف العدل، وإن الحرف المنكسر أو الملتوى ولا يتبع منهج الحروف فى كتابة الوصية سوف تعانى منه أجيال متتابعة، وإن الولاية على الآخرين لا تعطى الإنسان الحق فيما يفعل بالكلية، وما يحلو له، فإن الولاية على أموال الآخرين هى أمانة تذبح الأعناق إذا أمال بالرؤوس خمر الهوى ليغير من وضع الاتزان، فالقرار المأخوذ دون تفهم لأبعاده يحمل فى باطنه ضررا على الأجيال التى نتركها خلفنا، فلنقل عدلا لمن يحضره الموت.

openkandl.com

المقال الواحد والعشرون
اعدلوا فى القسمة

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.(النساء : ١٠).

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا مهتدين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفتح علينا بعلمه ونستغفره ونتوب اليه ونشكر فضله، فنعم الله اكبر من أن نستأثر حقا أو نغتصب حقا فنعم الله أكثر، ونسألك الله أن تباعد بيننا وبين حيل الشياطين. إن الشيطان يزين أمامنا فاللهم ثبتنا على الإيمان.

لقد جاء فى الآية **{إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا}** جملة معترضة تفيد تكرير التحذير من أكل مال اليتامى، جرّتهُ مناسبة التعرّض لقسمة أموال الأموات، لأنّ الورثة يكثر أن يكون فيهم يتامى لكثرة تزوّج الرجال فى مدّة أعمارهم، فقلّما يخلو ميِّت عن ورثة صغار، فحرمة تناول أكل أموال اليتامى أو الاستئثار بها بحجج غير مبررة طمعا فى المال لهو أمر عظيم وتفسر الآية على النحو التالى: أن من يأكل أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارا تأجج فى بطونهم يوم القيامة. وثبت فى الصحيحين من حديث سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد عن سالم أبى الغيث، عن أبى هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل : يا رسول الله، وما هن؟ قال : «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى، حدثنا عبيدة أخبرنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمى، حدثنا أبو هارون العبدى عن أبى سعيد

الخدرى قال : قلنا : يا رسول الله، ما رأيت ليلة أسرى بك؟ قال : « انطلق بى إلى خلق من خلق الله كثير، رجال، كل رجل له مشفران كمشفرى البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف فى أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم خوار وصراخ. قلت يا جبريل، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما **{إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا}**.

وتقدم فى سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: **{ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيروإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح}**. البقرة : ٢٢٠.

اعدلوا القسمة فى أموالكم، ولا تغفلوا يوما اصطفاف الحقوق على مائدة الحساب، إن من التساهل استيلاء الكسب لما لا نستحق، أو أن نطمع فى زينة دنيا من أجل حفنات مال، واعلموا أن الاكتساب جزء من الحساب وأن الإنفاق واجب عدل بين من يستحق.

obeikandl.com

المقال الثانى والعشرون
جلاء الضوء فى العيون

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

هاهى يا جدتى الآية ١٧ من سورة النساء تضيء لنا مسرجه هداية، وجلاء الضوء فى العيون، فكم أغمضنا جفنا فلا نرى فى الحياة غير الشجون أتمتم جدتى فى قول معصية، فكم اقترفنا على باب التوب ننتظر، وباب الله مفتوح لمن تاب من عبد، فرح الله لعباده إذا أقبلوا للتوبة من ذنب، تعلمت يا جدتى كثيرا، والعلم قواه فى قدم وذلل، وإن كان فى العمر بقية سأمسح منه زللى، فاسمعى يا جدتى من وراء الحجب

جَهَالةُ ذنب بمَعْصِيَّةٍ قَدْ جَهِلَّ عَنْى
وصَامَتِى من الذنب موقوف تَوْبِي
والقلب وإن بدا فى الهم أما يغنى ؟
فتابتى بالصدق رَحْمَةُ مِن ذنبي

لقد تطرقت الآية يا جدتى إلى لفظة التوبة، ولفظة الجهالة، فالتوبة عند علماء اللغة كما يقال تاب إلى الله ومتابا و تابة وهى رجوع عن المعصية وتاب الله عليه، وهو تواب على عباده، فالتوبة رجوع عن الذنب وتوبة ومتابا أى أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، فالتوبة ندم يورث عزما وقصدا، فإن الندم يورث العلم.

أما الجهالة يا جدتى فتعنى ما لا نعرفه، وجهل الحق بمعنى أضاعه، والجهل حمق وغلظ، وجهلت القِدْر أى اشتد غليانها.

من هنا يا جدتى أرى أن توبة الله على عباده نوعان : توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا –أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أى: المعاصى **{بِجَهَالَةٍ}**. أى: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تؤول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها **{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}**. يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يُقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: **{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل}**.(يونس: ٩٠) الآية. وقال تعالى: **{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ}**. وقال هنا: **{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ }.(النساء: ١٨)**. أى: المعاصى فيما دون الكفر. **{ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}. (النساء: ١٨)**. وذلك أن التوبة فى هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **{مِنْ قَرِيبٍ}**.أى: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: إن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفاتٍ راسخةً فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذى يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة كالتى يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: **{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}**. فمِن علمه أنه يعلم صادق التوبة و كاذبها، فيجازى كل منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقَه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدمَ توفيقه.

المقال الثالث والعشرون
مظلمة النساء

النساء لا يُوَرَّثْن أيها الرجال؟!

يا جدتى إن أجمل ما فى الحياة هو العيش فى الأطر السليمة التى لا تتغافل حقوق الآخرين، التى تبعد المظالم، وان الاستناد على صفاء القلوب لهو مفتاح الطيبة فى العشرة بين الأزواج، واليوم يا جدتى سأقرأ آية ١٩ من سورة النساء يقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}**.

إذا نظرنا إلى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا}**. نرى أنه كان من عادات العرب فى الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته مثل الأخ وابن العم وغيرهم من أقرب عصبة للميت، فإن شاء تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً. وقيل : كان يكون عند الرجل عجوز ونفسه تتوق إلى الشابة فيكره فراق العجوز لما لها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها أو تموت فيرث مالها فنزلت هذه الآية. والمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه فى جاهليتهم، وألا تجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كما يورث المال، وقد ورد كلمة كَرْهاً هى بمعنى الإكراه إذا كانت الكلمة بفتح حرف الكاف كَ **{كَرها}**.أما إذا كان حرف الكاف كُ (كُرها) بالضم بمعنى المشقة. فما أكره عليه الإنسان فهو كره- بالفتح- وما كان من جهة نفسه فهو كره- بالضم-. ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا وصدقوا بالحق الذى جاءهم من عند الله، لا يحل لكم أن تأخذوا نساء موتاكم بطريق الإرث وهن كارهات لذلك أو مكروهات عليه، لأن هذا الفعل من أفعال الجاهلية التى

حرمها الإسلام لما فيها من ظلم للمرأة وإهانة لكرامتها. وصيغة لا يَحِلُّ لَكُمْ صيغة تحريم صريح، لأن الحل هو الإباحة فى لسان العرب ولسان الشريعة. فنفيه يرادف معنى التحريم. وليس النهى فى قوله: **{لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً}**. منصبا على إرث أموالهن كما هو المعتاد، وإنما النهى منصب على إرث المرأة ذاتها كما كانوا يفعلون فى الجاهلية؛ إذ كانوا يجعلون ذات المرأة كالمال فيرثونها من قريبهم كما يرثون ماله. وقوله كَرْهاً مصدر منصوب على أنه حال من النساء. أى حال كونهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه.

واذا نظرنا إلى قوله تعالى: **{وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}**.(النساء: ١٩) رأينا نهيا آخر عن بعض الأعمال السيئة التى كان أهل الجاهلية يعاملون بها المرأة. وهو معطوف على قوله: أَنْ تَرِثُوا.... وأعيد حرف «لا» للتوكيد. أى: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها، ولا يحل لكم أن تعضلوهن. والمعنى: لا يحل لكم- أيها المؤمنون- أن ترثوا النساء كرها، ولا أن تمنعوهن من الزواج **{لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ}**. من الصداق أو غيره، بأن يدفعن إليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن، فإن هذا الفعل يبغضه الله- تعالى- ويبدو لنا من سياق الآية أن النهى عن عضل المرأة هنا- وإن كان يتناول جميع المكلفين-، إلا أن المعنى به الأزواج ابتداء، لأنهم- فى الغالب- هم الذين كانوا يفعلون ذلك. نهى الله زوج المرأة عن التضييق عليها، والإضرار بها، وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب، لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق. لا سبيل لأحد إلى عضل المرأة إلا لأحد رجلين: إما لزوجها بالتضييق عليها... ليأخذ منها ما آتاها... أو لوليها الذى إليه إنكاحها. ولما كان الولى معلوما أنه ليس ممن آتاها شيئا. كان معلوما أن الذى عنى الله- تعالى- بنهيه عن عضلها هو زوجها الذى له السبيل إلى عضلها ضرارا لتفتدى منه.والاستثناء فى قوله **{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}**. متصل من أعم العلل والأسباب، أى لا تعضلوهن لعلة من العلل أو لسبب من الأسباب إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. لسوء أخلاقهن، وكاشفة عن أحوالهن. كالزنا والنشوز، وسوء الخلق، وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء وفحش القول ونحوه، فلكم العذر فى هذه الأحوال فى طلب الخلع منهن، وأخذ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهن لا

من جهتكم. والأصل فى هذا الحكم قوله تعالى: **{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها}**.(البقرة: ٢٢٩).

اما اذا نظرنا إلى قول الله فى الآية **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**. والمعاشرة: مفاعلة من العشرة وهى المخالطة والمصاحبة. أى: وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أى بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة، والأقوال الحسنة. أى: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم. كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله. كما قال- تعالى- وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى». وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه. حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- يتودد إليها بذلك.

أما فى الآية: **{فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}**.(النساء: ١٩)، فإن الله سبحانه وتعالى يختم الآية ١٩ ببيان أنه لا يصح للرجال أن يسترسلوا فى كراهية النساء إن عرضت لهم أسباب الكراهية، بل عليهم أن يغلبوا النظر إلى المحاسن، ويتغاضوا عن المكاره فإن كرهتم صحبتهن وإمساكهن فلا تتعجلوا فى مفارقتهن، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله لكم فى الصبر عليه وعدم إنفاذه خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة. فالآية الكريمة ترشد إلى حكم عظيمة منها أن على العاقل أن ينظر إلى الحياة الزوجية من جميع نواحيها، لا من ناحية واحدة منها وهى ناحية البغض والحب، وأن ينظر فى العلاقة التى بينه وبين زوجه بعين العقل والمصلحة المشتركة، لا بعين الهوى،وأن يحكم دينه وضميره قبل أن يحكم عاطفته ووجدانه. فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك، وربما يكون الشيء الذى كرهته اليوم ولكنها لم تسترسل فى كراهيته سيجعل الله فيه خيرا كثيرا فى المستقبل. قال- تعالى- **{وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}**.(البقرة: ٢١٦).

إن الإكـراه والتضييـق هـو اسـتعباد للنفـوس، وهـو مـن الإضـرار وإلحـاق الأذى بالآخريـن، فاعتبـار النسـاء جـزءًا مـن ملكيـة الرجـل يرثهـا كمـا يشـاء هـو خـرق لقوانـين الفطـرة والطبيعـة، وحريـة النسـاء ترتبـط بالأخلاقيـات، وإن دفـع المـرأة إلى الاضطـرار للافتـداء مـن الرجـل لهـو ظلـم عِشـرة، وإيـذاء النفـس بالكلمـة أو الفعـل يخـرج عـن نطـاق حسـن العشـرة، وإنَّ تجـاوز الحـدود فـى العلاقـة بـين الرجـل والمـرأة هـو مفسـدة أجيـال قادمـة، واتـزان الأجيـال مرهـون بصـلاح العقـول والمصـالح المشـتركة.

obeikandl.com

المقال الرابع والعشرون
من إعجاز المواريث ٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الذى بُعث بالقرآن هاديا ومبشرا ونذيرا، **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}** – النحل (٤٤) سورة النحل وان آيات المواريث فى سورة النساء تعالج جانبا هاما فى باب الأحوال الشخصية، وما فيها من دقة وحكمة وعدالة، وان المتدبر فى القرآن يجد نفسه معمقا لإيمانه لما يجده من الحكم البالغة فى القرآن الكريم **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}** – محمد ٤٧، ، فمن يتدبر أمر دينه وآيات ربه يجد الدقة الكاملة فى التشريعات والتى تتصف بالتكامل والشمول والواقعية، ولا تجد تناقضا أو خطأ يحتاج للتقييم ومن ثم للتغيير أو التبديل **{الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**.هود(١).

إن آيات المواريث لمن ينظر تؤكد على حب الإنسان للمال والولد، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى: **{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا»** – الكهف ١٨. إن جمع المال وحب الذرية يشكل دافعا فى حركة الكون، وإن ضمان التشريع لهو صمام الأمان فى تواصل جهد الإنسان لنقل جهده لورثته من بعده و إعمار الحياة.

إن قانون المواريث يمثل جانبا من إعادة توزيع الثروات، وإن تركيز الثروات فى يد فئة من الناس لهى مفسدة كبرى لأنه ينشئ طريق الاستعباد والتسلط على الرقاب، إن المواريث وقواعدها تؤدى إلى تقسيم الثروة واعادة تقسيمها وتوزيعها، وإذا انتقلنا بنظرة إلى تغريب النكاح (أى الزواج من غير الأقرباء)، نجد أن الأنثى حين تتزوج من غير الأقرباء فإن ما ترثه ينتقل إلى ورثتها وأهم ورثتها أبناؤها، ومن هنا يكون جزء من المال انتقل من المالك الأصلى إلى ورثة ليس من عائلته، ويستمر الأمر كذلك فى الفروع.

وقد أثبت المشرع حق الميراث للأصول وما ورثه الأصول يورث لاحقا لورثتهم، فإذا قلنا إن الأبناء والبنات هم أهم الورثة فإن هذا معناه انتقال جزء من مال المالك الأول إلى حواشيه (الحواشى تعنى غير الأصول والفروع من الأقارب) بشكل غير مباشر أى إلى إخوانه وأبنائهم وأعمامه وأبنائهم وبذلك يتوزع جزء آخر من التركة فى يد عدد آخر من عائلة الميت.

إن من يجمع جبال المال فى حياته ما أن يخرج منها إلا و يتفتت هذا الجبل فى أيد كثيرة. وإن الاستبداد المادى من البشر يتفتت بإعادة توزيعه فى المواريث، فيحقق العدالة المنصفة بين البشر، فقد راعت الشريعة القواعد فى المواريث مراعاة الأكثر قرابة، كما فى الميراث بالتعصب وتقديم عاصب عن آخر وهى على أسس الجهة، والدرجة، وقوة القرابة.

فمن حيث الجهة يقدم الوارث من الجهة الأقرب على الوارث من الجهة الأبعد (جهة الأبوة على جهة الأخوة)، ومن حيث الدرجة (تقديم الأقرب درجة على الأبعد فيقدم الابن على ابن الابن والأب على الجد والأخ على ابن الأخ)، ومن حيث قوة القرابة (يقدم الأخ الشقيق على الأخ لأب ويقدم ابن الأخ الشقيق على ابن الأخ لأب والعم الشقيق على العم لأب).

وإذا تمت الموازنة بين الأب والابن وفقا لذلك الأمر فأيهما أقرب وأولى بالميت، الأب أو الأم؟ أولى بأبنائهم فلا يقدم أحد عليهم، وهذا يعنى تقديم الأب على الابن فى الميراث، ولكن إذا أمعنا النظر نلاحظ أن تقديم الأب على الابن فى الميراث يترتب عليه ان ينتقل ما يرثه ليكون ميراثا لأبنائه أى حواشى ابنه الميت، وهذا معناه أن ينتقل الميراث لجهة الأخوة مع أن الأبناء أولى به، وهذا يتناقض مع مبدأ تقريب الأقرب فى الميراث، ويتناقض مع فطرة الإنسان فى حبه لجمع المال ولينتقل بعد موته إلى أبنائه وأحفاده، ثم إن الأب مدبر عن الحياة والابن مقبل عليها وكانت حاجة الابن أكثر من حاجة الأب، ومن هنا ندرك السر فى أن المشرع قدم الابن فى الميراث على الأب وفق قواعد دقيقة وذلك لمكانة الأب، فلا يحجب وفق قواعد الحجب، يعطى الأب السدس كحد أدنى، وإذا لم يوجد الفرع المذكر يقدم الأب فيرث بالتعصيب، وإذا وجد الفرع المؤنث فيكون الأب عصبه بشرط أن لا يقل نصيبه عن السدس، فإن قل عن السدس فرض له السدس.

المقال الخامس والعشرون
عطية الله لا تمس

جلست مع نفسى، بعد هذا العمر، وهذه التجربة فى الحياة أتلفت حولى فى أمور كثيرة، ولأننى نصف من نصف، وجزء من نصف، ولأن النصف لا يكتمل إلا بالنصف، فدعوت نفسى أن تتحدث عن النصف، نعم إننا أنصاف أحلام لا نكتمل إلا بنصف آخر، وإن كان النصف مكتملا فما كانت وحدة آدم عليه السلام ولا آنس الله وحشته بنصفه الآخر، فأعطاه العطية والهدية التى هى نعمة من الله وأمانة نحملها بين أعيننا وعلى أعناقنا، إنها الأنثى التى بدونها ما تكتمل الحياة ولا نشعر فيها بأى طعم مستساغ، إنها النصف المكمل وهى النصف المنقص، فهل نحن لا نسعى إلى الاكتمال؟ وبما أننا منقصون إلا من النصف، فعلينا بإكرام النصف. سؤال يطرح نفسه، وفى النواحى الاجتماعية نسمع أوجها كثيرة متعددة متباينة فى هذا الشأن ونسمع من المترادفات الكثيرة ومن الصفات كل نصف يصف الآخر، والقضية ليست بالوصف فقط، إن الوصف والتربية والتنشئة التى يكون فيها الإنسان نفسه هى بمثابة الماعون الذى تنبت بداخله الزروع، وكلما كان النبت جيدا يمكن أن يسوء فى مناخ غير جيد أو تربة غير صالحة للإنبات هكذا نحن البشر. إن نمو البشر فى ظل المُنَاخُ غير المُرْضٍ يؤدى فى النهاية إلى تربية غير سليمة وتربة غير نقية تؤثر على قيم الأجيال، فبناء الأجيال بالاكتساب، وإذا قلنا أناخ به البلاءُ أى حل به، من هنا الاكتساب يكون من النظر أو المشاهدة فى ذاكرة قد لا تمحى وفى كلمات ترن فى الأذن وتظل معلقة فى أذهاننا ومنها نتعلم اكتساب اللغة بما نسمعه.

إن العطية التى وهبنا الله إياها هى أمانة فى أعناق الرجال، ونجد فى أصحاب الثقافات من يصفهن بأشياء كثيرة، منها الصفات السلبية فى النصف الآخر، ويظهر علينا من المثقفات لتتكلم عن النساء وتصفهن بصفات، فلنتناول

كل صفة على حده، وتتعالى صوت الأخصائيات الاجتماعيات بالتحذير من هذه الصفات، ونسى أغلبهن أنه إذا كان هناك من السلبيات فى النساء فإن هناك الكثير، بل معظمها من الرجال.

يقولون إن هناك من لا يتحملن عبء المسؤولية، من النساء، وأعتقد أن هذا الأمر بالكلية غير مقبول لماذا؟ ألا يدرى الزوج مدى معاناة الزوجة فى الحمل أليس هذا الحمل نوعا من المسئولية، أليس الحمل ضريبة الأبناء للآباء؟ كى يعرفن أو يعرفوا قيمة الآباء ومدى معاناتهم فى تربيتهم أو تربيتهن، فهل هذا يعنى أنها لا تتحمل عبء المسئولية، إذا كانت كذلك فإن التربية الخاطئة هى السبب، وان الاختيار هو السبب الآخر، ويقولون إن بعضهن يتسمن بالأنانية، ولا يهمها إلا راحتها ربما يوجد هذا الصنف ولكن الضريبة القادمة، من سيدفعها، وان كانت كذلك أين الزوج فى توجيه النظر بالحسنى وهذا ما سوف نتحدث عنه فى النهاية.

ويقولون هناك من تتسم بالمتأنقة أى تنفق أموالها وأموال الزواج على الماكياج أو الإكسسوارات، وهذا الأمر لا يعيب إلا إذا خرج عن المألوف والإسراف ولا يصل إلى حد بخل الزوج والذى تتزين من أجله.

وهناك من الصفات الكثير كالمغرورة والممثلة والمدعية وكثيرة الهزار و صاحبة الكلام المكشوف، والصفات السابقة أثرها يظهر على مسمع ومرمى الأبناء، وهنا تكمن الخطورة فى تربية النشء، وكل هذه الصفات تدل على عدم مفهوم العقيدة فى الطاعة والاحترام المتبادل بين الطرفين.

ومن الأمثلة التى يشتكى منها كثير من الأزواج هى ارتباط الزوجة بأهلها. فأقول لماذا لا نعتبر ذلك برا بوالديها، ودعها تبر أهلها، وإن أردت أن تترك مجالستهم فلك الحرية، ولكن لا تجعل ذلك مصدرا للغضب أو الجحود، وحاول أن تفصل بين مناطق التماس وهو أمر تملك زمامه أنت، ولا ترغم الزوجة على أن تطأ أقدامها مكانا تكرهه أو لا تحبه إن أرادت وأنت كذلك، وإن من المشاكل التى تعترض الطرفين اختلاف المستوى المادى وخصوصا إذا كانت المرأة ثرية وأعتقد أنه إذا كانت شخصية الرجل تعامل الطرف الثانى بشكل يؤكد قدرته

على العمل والطموح لبناء نفسه وألا ينظر إلى مال المرأة فهو أمر عظيم لأنه يخطئ كثير من الرجال حين ينظر إلى جانب المرأة المادى لأنه مكلف شرعا بالإنفاق عليها، وليعلم ما بالحديث «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم»، ونأتى للمرأة العنيدة التى تضع رأسها برأس الرجل، وأقول إن هذا الأمر يحتاج إلى إدخال المفاهيم بين الطرفين باللين ليعلم الرجل انه مقود الحياة، وأن هذه المرأة العنيدة والتى تفعل ذلك إما لقصور فى التربية العقائدية للطرفين أو سلوك الزوج غير السوى الذى يوصلها إلى ذلك ومنها بخل الرجل، ونظرته الذكورية.

ومع تقديرى لكل الصفات سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة إلا أننى هنا انظر إلى كل هذا من وجهة نظر التكليف للرجل الذى يقود هذه السفينة لا الربان الذى يسلم كل أموره لغيره أو من يتهاون فى قيادة السفينة، وأقول إن العلاقة هى علاقة مودة ورحمة، وقد أمر الله تعالى الزوج بمعاشرة زوجته بالمعروف نصّاً، فقال عز وجل **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**. النساء- من الآية ١٩.

ثانيا ان الوقوع فى الإثم من الزوج هو أمر لا يحبه الشرع فالظلم محرّم فى الكتاب والسنَّة، وضرب الرجل لامرأته من غير مسوغ هو ظلم بيِّن، والظلم ظلمات على صاحبه يوم القيامة.لأنه ليس من حق الإنسان أن يظلم على الإطلاق، ولا ننسى قول الله ويعرضون على ربك صفا، فماذا نجيب؟ فعن أبى ذر، رضى الله عنه، عن النبى، صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : «يَا عِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا». رواه مسلم.

إن الحوار بين الطرفين لهو أمر مهم، وهو من المودة والرحمة، وإن ما نشاهده فى التطاول من الطرفين حتى تصل إلى الاشتباك بينهم، فهل هذه الحياة التى كنا نسعى إليها، ونحن ندمرها بتطاول أيدينا على ما كنا نسعى خلفه لكى نكمل نصف النصف؟ إنها لحظات غياب العقل ولحظات يزين لنا الشيطان أعمالنا فنخرج عن الصواب، ونفقد ما كنا نتعذب من أجل لقائه، وفقدنا احترامنا لأنفسنا واحترام الغير لنا واحترام أولادنا لنا، بل أفقدناهم من القيم الكثير ونعيد عليهم سيناريو مكررا، إنه موروث البيئة والتى لا نفكر فى تغييرها، واذكر قول ابن جرير الطبرى – رحمه الله- : «غير جائز لأحدٍ ضرب

أحد من الناس، ولا أذاه، إلا بالحق؛ لقول الله تعالى **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}**. (الأحزاب: ٥٨)، سواء كان المضروب امرأة وضاربها زوجها، أو كان مملوكا أو مملوكة وضاربه مولاه، أو كان صغيراً وضاربه والده، أو وصى والده وصَّاه عليه.

إن قضية معالجة الخلافات بالأيدى لهو أمر يحتاج إلى مراجعة لكل الطرفين حتى لا نهيئ للشيطان مناخا مناسبا، فعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع : «اتَّقُوا اللَّهَ فى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ». رواه مسلم .

وأقول هنا إن للعلاقة بين الطرفين علاقة لا تمس لما لها من حقوق كثيرة، وإن الخلافات من وجهة نظرى الخاصة تعود إلى ضعف العقيدة ومفهوم الأدوار بين الطرفين، وليعلم كلا الطرفين ان الشيطان وراء الخلافات **{فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ}**.(البقرة: ١٠٢).

إن للزوجة أو نصف النصف لها حقوق، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ الْقُشَيْرِى قَالَ – قُلْتُ – يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِى الْبَيْتِ».

وقَالَ أَبُو دَاوُد: وَلَا تُقَبِّحْ أى أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ وعن جَابِرٍ رضى الله عنه قال، نهى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عن الضَّرْبِ فى الْوَجْهِ.

قال النَّوَوِى – رحمه الله–:

وأما الضرب فى الوجه– فمنهى عنه فى كل الحيوان المحترم، مِن الآدمى، والحمير، والخيل، والإبل، والبغال، والغنم، وغيرها، لكنه فى الآدمى أشد؛ لأنه مجمع المحاسن، مع أنه لطيف؛ لأنه يَظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه، وربما آذى بعض الحواس.

إن الوعظ بالحسنى، والهجر فى المضاجع وعدم الإيذاء بالضرب المبرح الذى يشق العلاقة بين النصفين، فآخر وسيلة هى الضرب، وهى غير مفضلة لأنها تسبب آلاما نفسية بين الطرفين حتى الزوج أو الزوجة؛ لأن الضرب لا يتوقف على الزوج ربما تقوم الزوجة به أيضا، قول الله تعالى: **{واللّاتى تخافون نشوزَهنّ فعِظُوهنّ واهجروهنّ فى المضاجِع واضربوهنّ}**. إذن الضرب عند النشوز وليس هناك سبب آخر، فليراجع كل منا نفسه، .وحيث يقع الضرب على الأم أو الأب بسمع من الأبناء، وحيث رأوا، فأى تربية يمكن أن يربيَّها هذا الأب أو الأم لأولاده؟ وكيف سيتعلَّم هؤلاء احترام والدهم أو والدتهم وتقديره أو تقديرها ومحبته أو محبتها؟ لقد كان هديه صلى الله عليه وسلم أكمل هدى، فلم يضرب فى حياته كلها صلى الله عليه وسلم خادماً، ولا امرأة من نسائه رضى الله عنهن.

عن عَائِشَةَ رضى الله عنه قالت : ما ضَرَبَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شيئا قَطُّ بيده ولا امْرَأَةً ولا خَادِمًا إلا أَنْ يُجَاهِدَ فى سَبِيلِ اللَّهِ، وما نِيلَ منه شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ من صَاحِبِهِ إلا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ من مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل.

وقد قال النووى – رحمه الله:

إن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب : فتركه أفضل، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك ضرب النساء هو فعل الخيار من الناس.

عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى ذُبَابٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، : «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ». فَجَاءَ عُمَرُ إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَرَخَّصَ فِى ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ فَقَالَ النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ».

إننا أمام هدية الله المعطاة لنا نحن الرجال فلنحافظ عليهن، فإن النساء على رؤوس الرجال، وإكرامهن واجب، وإن العلاقة بين النصفين مودة ورحمة،

ولنعلم أن بفقدان طرف عن طرف، قد نفقد معه الكثير، وإننا لا نعرف قيمة الأشياء إلا حين نفقدها، وليكن عنوان العلاقة بين النصفين وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا، فلنتق الله فيهن، وليعلم الرجال أن مجاهدة النفس فى الصبرعليهن لهو أمر عظيم، وان هناك من الزوجات اللاتى لا يعرفن حدود الله وهذا موضوع آخر سوف أتناوله لاحقا.

opeikandl.com

المقال السادس والعشرون
حدود الميثاق فى الرق والاستعباد

طالعت يا جدتى الآية ٢٥ من سورة النساء وما فيها من حدود الميثاق فى وثيقة الزواج والعلاقات الاجتماعية، فوجدت أن استغلال الأنثى دون ضابط شرعى يدخل فى مجال الرق والاستعباد وأن حق المرأة فى ميزان الكرامة هو عدل ميثاق، وبما أن الحجة تحتاج إلى دليل، فإذا ما تسرب إلى الدليل الاحتمال، فإنه يتساقط معه قوة الاستدلال، ومن هنا فإن حدود ميثاق المعاملات الاجتماعية بين الرجل والمرأة لا تحتاج إلى تسريب أحلام الاحتمالات للتأويل، وأن الغرائز إذا فارت فإما العفاف أو الانفلات، وإن الانفلات تسريب الفساد وسقوط الأخلاق فتضيع معه الأمانات وأن الصبر على المفسدات هو طهر لمفارقة الآثام.

فإذا نظرنا إلى الآية **{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**. (النساء: ٢٥)، نرى شرحا على النحو التالى: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أى: ومن لم يستطع الطول الذى هو المهر لنكاح المحصنات أى: الحرائر المؤمنات وخاف على نفسه العَنَت أى: الزنا والمشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره، فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما فى البواطن**{فَانْكِحُوهُنَّ}.أى: المملوكات {بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ}**. أى: سيدهن واحدا أو متعددا. **{وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}**. أى: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن **{مُحْصَنَاتٍ}**.أى:

عفيفات عن الزنا {غَيْرَمُسَافِحَاتٍ}. أى: زانيات علانية{وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}. أى: أخلاء فى السر. فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة إلا بأربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بهن والعفة ظاهرا وباطنا، وعدم استطاعة طول الحرة، وخوف العنت، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن. ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل لما فيه من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: {وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌلَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.وقوله: {فَإِذَا أُحْصِنَّ}. أى: تزوجن أو أسلمن أى: الإماء {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ}. أى: الحرائر{مِنَ الْعَذَابِ}. وذلك الذى يمكن تنصيفه وهو: الجَلد فيكون عليهن خمسون جَلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم لأنه لا يتنصف، فعلى القول الأول إذا لم يتزوجن فليس عليهن حد، إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة. وعلى القول الثانى: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضا عزرن. وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين{الغفور والرحيم}.؛ لكون هذه الأحكام رحمةً بالعباد وكرمًا وإحسانًا إليهم، فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة. ولعل فى ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده، كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر فى الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما.

المقال السابع والعشرون
التعدى على النساء

يا جدتى كم أوضحت لى إن الوصول للفضاء هو مشقة، والأمر يحتاج إلى عدل الوصول، فما قيمة الوصول المزيف بنجاحات باهتة لا تعطى كل ذى حق حقه؟ فإن الاستيلاء على صداق المرأة بعد المخالطة والمعاشرة وقطع فضاء المتواصلين، هو تناقض فى العهود والمواثيق، وإن النساء أمانة فى أعناق الرجال، وكيف ينبت الزهر فى أرض جفاء، فبقدر ما تأخذ بقدر ما تزيد من العطاء فهذه صفات الكريم، فكن بارا للنساء يكن لك أمنا وحصنا.

نرى يا جدتى أن الآية رقم ٢١ من سورة النساء **{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}**. تظهر لنا أن الله سبحانه وتعالى كرر توبيخه لمن يحاول أخذ شيء من صداق زوجته التى خالطته فى حياته مدة طويلة، فقال: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً. وأصل أفضى من الفضاء الذى هو السعة يقال: فضا يفضو فضوا وفضاء إذا اتسع. ويقال: أفضى فلان إلى فلان أى: وصل إليه، وأصله أنه صار فى فرجته وفضائه.والمراد بالإفضاء هنا: الوصول والمخالطة: لأن الوصول إلى الشيء قطع للفضاء الذى بين المتواصلين.والاستفهام فى قوله وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ... للتعجب من حال من يأخذ شيئا مما أعطاه لزوجته بعد إنكار ذات الأخذ. والمراد بالميثاق الغليظ فى قوله **{وأخذن منكم ميثاقا غليظا}**. هو ما أخذه الله للنساء على الرجال من حسن المعاشرة أو المفارقة بإحسان كما فى قوله- تعالى-: فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ. وليس أخذ شيء مما أعطاه الرجال للنساء من التسريح بإحسان، بل يكون من التسريح الذى صاحبه الظلم والإساءة.والمراد بالميثاق الغليظ الذى أخذ: كلمة النكاح المعقودة على الصداق، والتى بها تستحل فروج النساء، ففى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة حجة الوداع: استوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. والمعنى: بأى وجه من الوجوه تستحلون يا معشر الرجال أن تأخذوا شيئا من الصداق الذى أعطيتموه لنسائكم عند مفارقتهن، والحال أنكم قد اختلط بعضكم ببعض، وصار كل واحد منكم لباسا لصاحبه، وأخذن منكم عهدا وثيقا مؤكدا مزيد تأكيد، لا يحل لكم أن تنقضوه أو تخالفوه!!؟فأنت ترى أن الله- تعالى- قد منع الرجال من أخذ شيء من الصداق الذى أعطوه لنسائهم لسببين: أحدهما: الإفضاء وخلوص كل زوج لنفس صاحبه حتى صارا كأنهما نفس واحدة. وثانيهما: الميثاق الغليظ الذى أخذ على الرجال بأن يعاملوا النساء معاملة كريمة.

إن التعدى على حقوق النساء بما يخالف القواعد الشرعية منهى عنه، وإن حرمان الأنثى من الميراث أو من الصداق يعد مخالفة شرعية، وإن معاشرة النساء بالمعروف أمر حتمى، وان الصبر على النساء من حكمة الرجال، وعلى النساء أن يحفظن أنفسهن من المخالطة، وإن دعت الضرورة فعليهن توخى الحذر من الذئاب الضالة من الرجال، وإن المغالاة فى صدقات النساء لهو أمر قد يثير الرجال فى نفوسهم، فينتظر المقابل بلا حدود، وهى طاقة قد لا يتحملها أغلب النساء، إن الميثاق الغليظ بين الرجل والمرأة يوجب حقها فى تكريم المفارقة وحسن الخلق من الرجال.

المقال الثامن والعشرون
سياج ممنوع الاقتراب

تأملت كم كانت جدتى توضح لى ما وراء الآيات، وما يمكن أن نستفيد منه من قراءة القرآن وتلاوته، وهنا فى هذه الآية رقم ٢٣ من سورة النساء بعد ما قرأتها فقد وجدت كيف تكون العلاقات بين المحارم، وكيف يكون الوقار نافذة، والأخلاقيات باب سمو فى الود والاحترام، وإن شفافية العواطف يجب ألا تتجاوز حدود المشاعر العفيفة والطاهرة، يقول الله تعالى: **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}**.

هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى المحللات من النساء.

فأما المحرمات فى النسب فهن السبع اللاتى ذكرهن الله **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ}**. الأم يدخل فيها كل من لها عليك ولادة، وإن بعدت، ويدخل فى البنت كل من لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم. والعمة: كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا. والخالة: كل أخت لأمك، أو جدتك وإن علت وارثة أم لا. وبنات الأخ وبنات الأخت أى: وإن نزلت. فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء كما هو نص الآية الكريمة وما عداهن فيدخل فى قوله: **{وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ}**. وذلك كبنت العمة والعم وبنت الخال والخالة.

وأما المحرمات بالرضاع **{وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ}**.

فقد ذكر الله منهن الأم والأخت وفى ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبيهه على أن صاحب اللبن يكون أبا للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهم وفروعهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر فى الأقارب، وفى الطفل المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات فى الحولين كما بينت السنة.

وأما المحرمات بالصهر فهن أربع: **{وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}**.

حلائل الآباء وإن علوا،

وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين.

وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاثة يحرمن بمجرد العقد.

والرابعة: الربيبة، وهى بنت زوجته وإن نزلت.

فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجته كما قال هنا: **{وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ}**. الآية. وقد قال الجمهور: إن قوله: **{اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ}**. قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن فى حجره ولكن للتقييد بذلك فائدتان: إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة فى تحريم الربيبة وأنها كانت بمنزلة البنت، فمن المستقبح إباحتها. والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هى فى حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم. وأما المحرمات بالجمع فقد ذكر الله **{وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}**. الجمع بين الأختين وحرمه وحرم النبى صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكل امرأتين بينهما رحم محرم لو قدر إحداهما ذكرًا والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما فى ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام.

إن اختراق باب الوقار والاحترام بين المحارم يفتح خلفه باب شهوات الحمو بالخلوة، فتتنافى معه العواطف الشريفة والوقار بين المحارم مع اختراق باب الأصول بالقرابة على المحرمات بالنسب وبالرضاع وبالصهر وبالجمع والمحللات من النساء، إنه سياج يمنع الاقتراب منه وإلا تقطعت الأرحام وانهارت السلالات.

obeikandl.com

المقال التاسع والعشرون
الزواج وثيقة بيضاء محصنة

هكذا يا جدتى فى الآية ٢٤ من سورة النساء نرى وثيقة بيضاء ليس بها غبار ظلم ولا تعد فى قواعد الاقتران بالنساء إنها وثيقة عهد وشرط مشروط بقبوله، فليسعد من طبق قواعد القران وآتى النساء حقهن.

ففى الآية **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}. (٢٤)**

نرى أن الشرح على النحو التالى: ومن المحرمات فى النكاح **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}**. أى: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن فى ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضى عدتها.

{إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}.أى: بالسبى، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا ينفسخ نكاحها لأن المالك الثانى نزل منزلة الأول ولقصة بريرة حين خيرها النبى صلى الله عليه وسلم. وقوله : «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ». أى: الزموه واهتدوا به فإن فيه الشفاء والنور وفيه تفصيل الحلال من الحرام. ودخل فى قوله: **{وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ}**. وكلُّ ما لم يذكر فى هذه الآية، فإنه حلال طيب. فالحرام محصور والحلال ليس له حد ولا حصر لطفًا من الله ورحمة وتيسيرًا للعباد. وقوله: **{أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ}**. أى: تطلبوا من وقع عليه نظركم واختياركم من اللاتى أباحهن الله لكم حالة كونكم **{ مُحْصِنِينَ }** أى: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم **{غَيْرَ مُسَافِحِينَ}**.والسفح: سفح الماء فى الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته لكونه وضع شهوته فى الحرام فتضعف داعيته للحلال

فلا يبقى محصنا لزوجته. وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: **{الزَّانِى لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أو مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أو مُشْرِكٌ}. (النور:٣)**، **{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ}. (النساء: ٢٤)**، **أى: ممن تزوجتموها{فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}**.أى: الأجور فى مقابلة الاستمتاع. ولهذا إذا دخل الزوج بزوجته تقرر عليه صداقها **{ فَرِيضَةً أى: إتيانكم إياهن أجورهن فرض فرضه الله عليكم، ليس بمنزلة التبرع الذى إن شاء أمضاه وإن شاء رده. أو معنى قوله فريضة: أى: مقدرة قد قدرتموها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها شيئًا. {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ}. (النساء: ٢٤)**، أى: بزيادة من الزوج أو إسقاط من الزوجة عن رضا وطيب نفس [هذا قول كثير من المفسرين، وقال كثير منهم: إنها نزلت فى متعة النساء التى كانت حلالا فى أول الإسلام ثم حرمها النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يؤمر بتوقيتها وأجرها، ثم إذا انقضى الأمد الذى بينهما فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم. **{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}. (النساء: ٢٤)** أى: كامل العلم واسعة، كامل الحكمة: فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع وحد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام.

إن الزواج وثيقة بيضاء محصنة، تمتلك الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام، وإن على الرجل إكرام المرأة فى معاشرتها وجبر خاطرها بالعطاء غير المحدود، فلو علم الرجال كم تضيف المرأة فى حياة الرجل، لزين لها مكانة فى قلبه وعقله، وإنه بقدر عطاء الرجل لها بقدر ما تفيض على عرينها من العشرة الطيبة، وإن استحلال المرأة بعقد القران يتوجب إعطاء قدرها كرما وعفة وصداقا يحفظ لها هيبتها وقدرها، فإن كرامة المرأة من كرامة الرجل، فإن المرأة قلعة يصون الرجال بها أنفسهم، فإن كرامة الرجل من كرامة المرأة، وهى مفتاح الأمانة فى ماله وعرضه وولده، وأن أوفت المرأة صدق عشرتها كانت سدا منيعا لمن يحاول الاقتراب منها غير زوجها.

المقال الثلاثون
توثيق الحرف

حين ننثر الحرف على صفحات الكتابة، منها ما هو قائم فى حَدِّه السيف، ومنه ما هو محتضن ما قبله وما بعده، ومنهم الملتف والملتوى، وتبادل الحروف معادلة تراكمية وتراكبية، تأخذ من مخزون الحروف التى تعلمناها، نعم لقد تعلمنا الحروف والأسماء، **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. (٣١) سورة البقرة.**

هل تعلمناها، أم تم تخزينها؟ فعطبت، لماذا لا نستنزف الكلمات ونحولها إلى لغة جميلة فيما بيننا؟ إن العلم الحقيقى يكمن فى الحرف المكون الأساسى للكلمة، والحرف إن لم يخرج من موضعه وفى مكانه اختل واعوج المعنى، يصبح كالشظايا المتناثرة، وإن الكلمة السليمة فى موضعها يكون بالبناء المشيد يقوى عضده، يقاوم ويواجه عواصف الحياة، الحياة كلمات وأرزاق، كلمات فيما بيننا، كلمات طيبة رقيقة تحمل البر والإحسان، **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ}. (٢٤) سورة إبراهيم.** إن الكلمة الطيبة التى تخرج من ألسنتنا هى لا اله إلا الله، وهى تقرير الإيمان بالله والصلاح فيما بيننا للعودة إلى الله، وإن العلاقة فى الأرزاق فى خريطة الحياة لا يمكن أن نتصور كيف تكون، وهب أن فى يديك أو فى جيبك المال، فهل تستطيع أن تحدد وجهة الإنفاق؟ إنك حتى وان استطعت تدوين أوجه الإنفاق فإنه إنفاق موجه إلى ما أنت لا تعلمه، فإن الله سبحانه وتعالى يُقَسِّم الأرزاق بيننا **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. (الزخرف: ٣٢).**

إن قسمة الأرزاق بيد الله وليست بيد البشر وإن رحمة الله خير مما نجمع فى الدنيا، إن معايش العباد وأرزاقهم بيد الله تعالى يقسمها بين عباده فيبسط الرزق

علـى مـن يشـاء ويضيقـه علـى مـا يشـاء لحكمتـه التـى لا نعلمهـا، الـكل مسـخر بعضـه البعـض فـى الأعمـال والحـرف والصنائـع، إن التسـاوى فـى الغنـى، يعطـل مصـالح البشـر وإن الانتقـاص فيمـا لا نملـك يدعونـا إلى احتيـاج الآخـر، وإلا تعطلـت المصـالح، فاكتمـال الأشـياء يعطـل المصـالح وإن الأسـاس فـى العلاقـات الإنسـانية هـو الانتقـاص، وإن الاكتمـال يعنـى إغـلاق القـوى المتحركـة، **{حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.سورة يونس-٢٤.**

إن الاعتقاد بالكمال أو إنك آمن فى اكتمال فتذكر أن الزينة المغرية قاتلة وهى الغرور، وإن تقلبـات الدهـر لا تخطـر علـى بال، إن الفتنة المغرية فـى الحياة أصبحت تدير عقل الحليـم فيقـع فـى الفـخ، ويسـقط فـى الفتنـة، إنهـا فتنـة الزخرف مـن القـول والرزق:

إذ التمامُ بدا فى حُلَّةٍ، فاعلم بأن زوالا قد اَتَى،
وإن كان العقلُ فى زِينَة، هل تساوى الفقر والغنى؟
وان الأرزاق فى حِكْمَّةٍ، لا نعلم من أُعْطِى ومن اِبْتَلى
وإن الأعمال فى تُخْمَّةٍ، والخير لمن صَبَرَ واِتَقَي
فَكُل مَنْقُوصٍ مِنْ كِمَالٍ، ما بِيْن البشرِ مُسَخَرٌ مُهْتدَي

هـى الحـروف فيمـا بيننـا فلنخـرج أطيبهـا، حتى يـرق القلـب بيننـا، فالقلوب تدق دقـة واحـدة، والقلـب سـر الوجـود، إن غفـل توقـف، وإن نسـى يلفـه غبـار الخطيئة، فتذكـر أن القـول الطيـب يبـدأ بقولـك (لا الـه الا الله) هـى العقيـدة الراسـخة.

إن القلـوب إذا مـا زينـت أمامهـا الدنيا، غابـت العيون، وتخمة البطـون، فتحركت بداخلنـا إرهاصـات الشـياطين، وإذا مـا أرادت أن تبعـد عنـك الضيق تذكـر قول الله فى كتابه **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. (غافر:٦٠).** ان المدد من الله وحده سبحانه **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّإِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}. (النمل:٦٢).**

وإن الاطمئنـان فـى الدنيا يخرج من طرف لسـانك إن أحسـنت لياقتـه مع الآخرين، وأن تعلم أن الأرزاق بيد الله وإننا إلى الله راجعون، فوثق حرفك بكلمة التقوى وقول لا اله إلا الله **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِاللَّهِ أَلَا بِذِكْرِاللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. (الرعد:٢٨).**

المقال الواحد و الثلاثون
بيان الهداية

طريق الهداية بين يا جدتى، يبدو فيه ما أحل وما حرم، وإن اتباع الشرائع هداية كما هدى من قبلنا، وإن باب التوبة مفتوح لا يغلق أبدا، فهو مفتوح لمن طرقه بالتقرب إلى الله وإن الابتعاد عن هوى الشيطان يفتح أبواب الرحمة، ويدخلنا فى زمرة التوابين، وان من الرحمة ما خفف الله عنا من الأعمال، فما أضعفنا وما أضعف العزائم والهمم فينا، فما أحوجنا إلى رحمة الله، وعلينا بباب الاجتهاد فى العمل بإتيان صالح الأعمال.

إن القراءة يا جدتى فى سورة النساء الآية ٢٦ نرى فيها قول الله تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**. ٢٦. يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم – أيها المؤمنون – ما أحل لكم وحرم عليكم، مما تقدم ذكره فى هذه السورة وغيرها، **{ويهديكم سنن الذين من قبلكم}**. يعنى: رائقهم الحميدة واتباع شرائعه التى يحبها ويرضاها **{ويتوب عليكم}**.أى من الإثم والمحارم، **{والله عليم حكيم}**.أى فى شرعه وقدره وأفعاله وأقواله.

وإذا ما اطلعنا على سورة النساء الآية ٢٧ **{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}**. ٢٧ – أى والله يريد أن يتوب عليكم. **{ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما}**. أى : يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة. **{أن تميلوا}**. يعنى : عن الحق إلى الباطل (ميلا عظيم

وإذا ما قرأنا سورة النساء الآية ٢٨ **{يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا}**.

وجدنا يا جدتى رحمة الله فى آياته، فنحن ضعفاء همة ونفس فشرح الآية يوضح ذلك فى كثير من الأمثلة من الشرائع والأوامر والنواهى وما يقدره الله لنا ولهذا أباح نكاح الإماء بشروطه، كما قال مجاهد وغيره : **{خلق الإنسان ضعيفا}**. فناسبه التخفيف، لضعفه فى نفسه وضعف عزمه وهمته. وكما خفف الله الصلاة إلى خمسة تعادل خمسين فى الأجر، وهذا تخفيف على العباد، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل] الأحمسى[حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه: **{خلق الإنسان ضعيفا}**.أى : فى أمر النساء، وقال وكيع : يذهب عقله عندهن.

وقال موسى الكليم عليه الصلاة والسلام لنبينا صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء حين مر عليه راجعا من عند سدرة المنتهى، فقال له : ماذا فرض عليكم؟ فقال» : أمرنى بخمسين صلاة فى كل يوم وليلة. فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإنى قد بلوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فعجزوا، وإن أمتك أضعف أسماعا وأبصارا وقلوبا، فرجع فوضع عشرا، ثم رجع إلى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمسا . قال الله عز وجل : هن خمس وهن خمسون، الحسنة بعشر أمثالها» الحديث.